

٦٥  
المجلد

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد



# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

December 2019

ديسمبر ٢٠١٩ م

العدد التاسع - المجلد الخامس والستون - ربيع الثاني ١٤٤١ هـ - ديسمبر ٢٠١٩ م

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن الطفوم الإسلامية علوم هي ثانية ، وأن منهج الدراسة خاضع لناموس التغيير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزداد فيه، ويعذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوبي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية  
الأستاذ محمد الحسني رحمة الله تعالى  
في عام ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ م

## المشرف العام

العلامة السيد

محمد الرابع الحسني الندوبي

رئيس التحرير

سعید الأعظمي الندوی

مدير التحرير

محمد فرمان الندوی

مساعد مدير المحتوى والمراقب

محمد عبد الله المخدومي الندوبي

# البعث الإسلامي مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب ٩٣. لكناو (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٣١-٢٧٤١٢٢١ - ٥٢٢

**AL-BAAS-EL-ISLAMI**

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg,

Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348, 8400476826 Email: albaas1955@gmail.com

## محتويات العدد

العدد التاسع - المجلد الخامس والستون - ربيع الثاني ١٤٤١ هـ - ديسمبر ٢٠١٩ م

◆ الافتتاحية :	كلًّا إِنَّهَا تَذَكِّرَةٌ ١
◆ التوجيه الإسلامي :	الدين الكامل حاجة الإنسان في كل زمان
◆ البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم ، أول سورة الشعراء	البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم ، أول سورة الشعراء
◆ الدراسة التعليمية لأساليب النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية	الدراسة التعليمية لأساليب النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية
◆ الدعوة الإسلامية :	التربية الإسلامية معيزاتها وأسلوبها
◆ التربية على الشورى في الإسلام	التربية على الشورى في الإسلام
◆ الفقه الإسلامي :	الزيادة على النص : قواعدها وضوابطها
◆ دراسات وأبحاث :	الوقف ودوره في المجتمع
◆ مساهمات شمس الحق في مجال علم الحديث	الحركة العلمية الإسلامية بين الصحابة وأشهر علمائها
◆ حقوق كبار السن في الإسلام	حقوق كبار السن في الإسلام
◆ رحمة للعلماء : مؤلف هام حول سيرة نبي الإسلام	رحمه للعلماء : مؤلف هام حول سيرة نبي الإسلام
◆ رجال من التاريخ :	
◆ الشیخ عبد العزیز البشیری حاجظ المصرى الحدیث الذى نصیہ الأدبیاء	الکاتب الاسلامی الشہیر الدکتور / غریب جمعة
◆ صور وأوضاع :	
◆ أحداث ٢٠١٩ م : دراسة لواقع المعاش ، وتقاؤل بالمستقبل المشرق	
◆ أخبار علمية وثقافية :	
١. مؤتمر علمي حول الدكتور محمد يونس التجرامي التدوی	محمد فرمان التدوی
٢. مؤتمر حول رسالة الإنسانية في إدارة هيفن القرآن	
٣. افتتاح كتاب : حركة تحرير الهند وجامعة مظاهر علوم سهارنفور	
◆ إلى رحمة الله تعالى :	
١. الشیخ د. محمد الخطاب بن محمد الأمین الشنقبطي إلى رحمة الله تعالى	فلم التحریر
٢. فضیلۃ الأستاذ ریاض الرحمن الشیروانی إلى رحمة الله تعالى	
٣. فضیلۃ الشیخ المفتی منظور احمد المظاہری في ذمة الله تعالى	
٤. حادث وفاة زوجة الأخ العزیز رفع الدين التدوی	
٥. والد الأستاذ ائیں احمد التدوی إلى رحمة الله تعالى	
٦. والدة الدكتور مشیر حسین الصدیقی إلى رحمة الله تعالى	
٧. الطالب العزیز عبد الله بن عبد الرحمن في ذمة الله تعالى	
٨. الأخ العزیز محمد افضل حسین إلى رحمة الله تعالى	

للمؤمن العزيز العظيم

## كَلَّا إِنَّهَا تَذْكُرَةٌ !

لم يكن الإنسان مجرد خلق ناطق بالعقل الإنساني في شئون الحياة حتى يتميز عن غيره من المخلوقات ذوات الجسم والروح والتعلق الطبيعي ، إنما كان أفضل خلق الله تعالى في هذا الكون من كل حيوان ناطق ، وذلك بالتمييز بين الخير والشر وبين الطاعة والمعصية ، لأن رُزق سلامة العقل والتفكير وأكرم بالهدایة السماوية نحو الطريقين والاختيار بما هو الطريق الواضح الطبيعي الذي يتحقق مع الطبيعة البشرية ومسؤولية أفضل الخلق الذي نال جائزة الأفضلية من خالقه العظيم ، ثم ابتلاء بما إذا كان يعرف نعمة ربه تعالى ويشكّره عليها ، ولا ريب أن الإيمان به ومعرفة حقيقته من أعظم ما ناله الجنس البشري من خالقه العظيم ، وهي جائزة الإيمان الريانية التي تتعلّق بها حياة العبد المسلم ، ذلك الذي يعيش مع الله وفي أداء الشكر له من جميع قواه وطاقاته ، ولا يحول دون ذلك أي مانع من عوامل الزمان ، ويستمر في أداء واجبه مهما كانت الظروف في ضوء التعاليم التي أنزلها الله سبحانه له بعباده البشر إلى آخر لحظة من حياته ، هكذا تكون حياة المؤمن المسلم الذي ينجح في جميع الاختبارات التي اختارها الله له ، (لَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْسَانَ فِي أَحْسَنِ شَكْرٍ . ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْتُنُونَ ) وقال : (وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَوَأَصْوَاتُ الْحَقِّ وَوَأَصْوَاتُ الْأَصْبَرِ ) .

فـكانت العمدة الحقيقة والمقياس الرياني الأصيل إنما هو الإيمان والعمل الصالح ، ثم التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وعلى هذا الميزان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى وأراده حينما أخبر الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة ، تعجب من هذا القرار الملائكة المقربون وقالوا : كيف تجعل خليفة في الأرض أولئك الذين لا يصلحون لحمل مسؤولية الخلافة !

وكان الرد الكريم : ( إِنَّ أَعْلَمُ مَا لَا يَعْلَمُونَ ) .

لأن ما كان قد قدره الله تعالى هو أن يعمر الأرض إزاء السماء بخلق إنساني يتميز في الكائنات كلها بالعقلانية المتميزة التي تساعده في الاختيار المناسب لأساليب الحياة ولا يفقد الشعور بين النافع والضار في ضوء تلك الطبيعة الإيمانية التي تشرف بها يوم أعلن الخالق العظيم : " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً " ، وال الخليفة لا يكون غير من خلفه ، لأنَّه يحل في الأمور كلها أو جُلُّها محله في الأمور والمسؤولية التي نصبت به من الشخص الأول إلى الثاني الذي نُقلت منه المسؤولية إلى صاحبه .

ومن ثم كان الموضوع في غاية من الدقة وهو يتطلب النزاهة الكاملة ولا يتخلى عن التورع والتقوى في كل لحظة خشية أن لا يصدر منه شيء يشوّه سمعته ، ولو لا أنَّ الله سبحانه وتعالى يعلم أن هناك ( إبليس ) ضمن الملائكة وأنه لا يرضى بإعطاء الإنسان مكانة أعلى من منزلة الملائكة لما أمرهم بالسجود أمام آدم ( عليه السلام ) فسجد الملائكة كلهم إلا إبليس أبي واستكروه كأن من الكافرين ، وطرده الله سبحانه وتعالى من حضرة الجلاله ووصفه بشيطان رجيم ، ولنقرأ القصة بوضوح في سورة الحجر من الآية ٤٢ / إلى الآية ٢٨ :

( وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةَ إِنِّي خَالقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْتُونَ . فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ . فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إِلَّا إِبْلِيسُ أَتَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لِإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ . قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَأٍ مَّسْتُونَ . قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَذَابِكَ الْعَنْتَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ رَبِّ فَأَنْظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يَتَعَذَّبُونَ . قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَغْلُومِ . قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتِنِي لَأَرْبِئَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأَغْوِيَهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ . قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَىٰ مُسْتَقِيمٍ . إِنِّي عَبَادِي لَنِّي لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ أَتَبْعَثُ مِنَ الْغَاوِينَ ) .

من هنا عمر الله سبحانه العالم البشري من ذرية آدم ( عليه السلام ) ، فأول نموذج أرانا في ابني آدم من الطاعة والمعصية ، وبذلك توزع الإنسان بين المطيع لله تعالى والمرتكب للمعصية ، وتوسيع المجال للشيطان أن يلعب بعقول الناس ويعثُر وحدة الإنسانية ويفرقها بين فرق

وجماعات شتات ، وقد تحدث التوراة ( الكتاب المقدس ) عن المعصية ، وكيف دخلت في مجال الحياة وماذا كان لها من التأثير في الحياة البشرية ، وكذلك الإنجيل يشير إلى كل موضوع بشيئ من التفصيل .

ولا شك أن إبليس كان له دور كبير في الصد عن سبيل الله والحيلولة دون عظمة الإنسان وفضيلته التي منعها الله سبحانه إيه ، ولا ريب أن النظام العالمي كله منوط بتقدير الله عزوجل الذي خلق العالم وأسكن فيه الإنسان بوجه خاص لكي يطلع على أنه ليس حراً طليقاً ، ولكنه مريوط بنظام معيشي دقيق يتخلله المحن والألام ، ومراحل اختبارية وفترات ارتياحية ، وبذلك وضع الله سبحانه نظام الجزاء إما : الجنة أو النار ، وقرر أن هناك سبيلين الجنة والجزاء الأوفي ، وطريق النار والعقاب ، ويتأرجح الإنسان بين هذين السبيلين ، وقد تحدث القرآن بغاية من الوضوح والتكرر في آيات كثيرة ولا تخلو أي سورة من سور القرآن الكريم من ذكر الجزاء وأشكاله المتعددة ، وأرجو أن أقرأ بعض آيات الكتاب في هذه المناسبة ، فقد قال الله تعالى : ( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كُلّ مثَلٍ ) ، ( إِنَّ الْأَبْرَارَ لَهُ نَعِيمٌ . وَإِنَّ الْفَجَارَ لَهُ جَهَنَّمُ : يَصْلُوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ . وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَافِلِينَ ) ، ( وَلَوْ أَنْ أَهْلَ الْفَرَى أَمْتَرًا وَأَقْرَأْنَا لَهُمْ بَرَكَاتَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَبُوا فَأَحَدَدْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ) ، ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى أَنَّ الَّذِي عَصَاكُلَّا إِذَا هُنَّ تَلَقَّفُ مَا يَأْكُلُونَ . لَوْلَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) ، ( فَمَنْ يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَ يَشْرَحُ صَدَرَةً لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَعْمَلُ صَدَرَةً ضَيْقَانَ حَرَاجًا كَائِنًا يَصْعَدُ لِلْسَّمَاءِ كَذَلِكَ يَعْمَلُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ) ، ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَالِدِينَ فِيهَا أُولُوْكُهُمْ هُنْ أَلْبَرُ . إِنَّ الَّذِينَ أَمْتَرُوا وَعَمِلُوا الْعَصَالَحَاتِ أُولُوْكُهُمْ خَيْرُ الْبَرِّيَّةِ ) ، ( إِذَا زُلْرَلَتِ الْأَرْضُ زُلْرَلَهَا . وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا . وَقَالَ إِنَّسَانًا مَا لَهَا . يَوْمَنِدَ لَعْدَتْ أَعْيَارَهَا . بَأَنْ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا . يَوْمَنِدَ بَصَدُرِ أَنْسَانٍ أَشْتَانًا لَبِرُوا أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرْهُ مُهْرِبًا يَرْهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ قَالَ ذَرْهُ شَرِّاً يَرْهُ ) .

إن القرآن الكريم كله حاصل بالمعاني والمفاهيم العالمية الربانية التي تشبع الحكائيات بجميع نواحيها بذاته دسم ويوفر لها النشاط

كلاً إلهًا ثذكرةٌ

والحيوية بأكمل معانيهما ، ولا تتوافر هناك ناسية ولو كانت مهجورة لعارض ما أو موتها ، إلا و تكون في انتظار مستمر للمناسبة التي تتناولها وتجز ما هي بحاجة إليه بكل ما يملك من قوة معطاه من ربها الكريم .

فكان القرآن الكريم أول ما يحتاج إليه الإنسان لكي يسير في ضوء اللام و توجيهاته الشاملة للحياة والكون والإنسان ، إنما نرى من أهل العالم البشري بكامله أنهم يعيشون ولا يبالون بما إذا كان عملهم مطابقاً للطبيعة الإنسانية أو للطبائع الأنعامية ، والناس في ذلك ألوان وأنواع ، فنوع يؤمن بكتاب الله تعالى وهم يهتمون بدراسته والتأمل في معانيه و يبالغون في تقديره و يعتبرونه أعلى بضاعة في متناول أيديهم ، ولا يقتصرؤن في تفسيره والتعمق إلى بلاغيته ومعجزاته ، وهم علماء هذه الأمة وأصحاب الإيمان بالله تعالى والعاكفين بتلاوته والعيش مع جميع أحكامه وتشريعاته .

ولكن هناك جماعة من الناس وهم بالعكس من هذه الجماعة ، لا دين لهم ولا عقيدة ويتأكدون أن القرآن الكريم يحول دون جمیع نشاطاتهم الحيوانية وهو أكبر مانع لصد المسلمين للتزم وانتزاع إيمانهم وحرمانهم من تعاليم هذا الكتاب ، فلا يألون جهدهم من إخراج هيبة وقيمة كتاب الله من أذهانهم ، ومؤكدين لهم أنه ليس إلا كتاب ديني قديم ذهبت حاجته أدراج الرياح وما هو الآن إلا كمحفوظة قديمة فقدت قيمتها وأصبحت ضمن التراث القديم .

وبهذه النفسية يعاملون كتاب الله ودين الإسلام ويعيشون في محروممية كاملة يمرغون في الشهوات وينهبون لذات من الحرام ، ويوسعون نطاق فسادهم إلى الطبقات البشرية ويحولونهم إلى أنعام بل أضل من الأنعام ، فيمارسون كل حرام ويرتكبون كل فاحشة ولا يرون في أي شيء أساساً من ذلك .

كان وجود المنافقين في العهد النبوى ( على صاحبه ألف ألف تحية وسلام ) بواقع ملموس ، حيث إنهم أظهروا الإسلام أمام النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم ، ولكنهم كانوا منافقين يتظاهرون بالإسلام ويخفون الكفر والعناد للإسلام والمسلمين ، فكانوا إذا جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشهدون بأنه رسول الله ، ولكن

الله سبحانه وَهُوَ يَعْرِفُ كُفَّارَهُمْ وَنَفَّاقَهُمْ فَشَهَدَ بِكُلِّ صِرَاطٍ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ ، قَدْ بَلَغَ ذَلِكَ الظَّاهِرُ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ سُورَةً خَاصَّةً بِالْمُنَافِقِينَ سَمِيتُ (سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ) ، وَهِيَ تَصُورُ إِلَى الآيَةِ الثَّامِنَةِ طَرَائِقَ الْمُنَافِقِينَ الَّتِي كَانُوا يَتَبَوَّطُونَهَا ، وَكَانُوا يَخْدُعُونَ بِهَا الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَلَكِنْ هُنَّا ، وَفِي الْمُصْوَرِ التَّالِيَةِ ظَهَرَتْ صُورٌ تُشَبِّهُ صُورَ الْمُنَافِقِينَ الْأَسَاسِيِّينَ ، وَهُمْ عَلَى شَاكِلَتِهِم بِأَسَالِيبٍ مُتَعَدِّدةٍ رَغْمَ أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ وَقَدْ وَلَدُوا فِي بَيْوَتِ ذَاتِ أَصَالَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ، إِلَّا أَنْ فِي نُفُوسِهِمْ شَيْئًا يُشَبِّهُ الْخُرُوجَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْمُسْلِمَةِ لِدِي جَمْهُورِ عُلَمَاءِ الْأَمَّةِ ، وَهُمْ يَجَاهِرُونَ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمُشَكِّلَاتِ الَّتِي تَوَاجِهُ بِلَدَنَ الْأَقْلِيَاتِ الْمُسْلِمَةِ فِي الْعَالَمِ كُلِّهِ ، وَقَدْ اشَارَ شِيخُنَا الْجَلِيلُ الْعَالَمُ أَبُو الْحَسِنِ عَلَى الْحُسَنِيِّ النَّدوِيِّ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي إِحْدَى الْمَنَاسِبَاتِ إِلَى مَا يُشَبِّهُ طَرِيقَ التَّوْسُطِ بَيْنَ حَسَنٍ وَقَبِيحٍ ، فَقَالَ : " كَنَا نَسْمَعُ أَنَّ هُدُوفَ الْإِنْسَانِ فِي عَمَلِهِ مَا يَكُونُ حَسَنًا لَاَئِقًا أَوْ يَكُونُ قَبِيحاً غَيْرَ مَرْضِيٍّ ، فَوُجِدَ بِذَلِكَ نُوعًا مِنْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ ، وَلَكِنَّا نَرَى وَنَسْمَعُ فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ أَنَّ أَعْمَالًا تُجَزِّزُ مِنْ غَيْرِ هُدُفٍ أَوْ بِدُونِ مَقْصِدٍ كَأَنَّهُ لَا يُرَادُ مِنْهُ إِلَّا اتِّبَاعُ النَّفْسِ أَوْ اتِّبَاعُ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا تَكُونُ لَهَا عَلَاقَةٌ بِعِقِيدَةِ الْإِنْسَانِ وَدِينِهِ .

وَلَعْلَنَا فِي مُعْظَمِ الْأَحْوَالِ نُعِيشُ هَذَا النُّوْعُ الْثَالِثُ التَّابِعُ لِلظَّرْفِ وَالْمَصَالِحِ الْمُعَاصِرَةِ ، إِمَّا مَرَاعَاةً لِلآخِرِينَ أَوْ إِرْضَاءً لِلْجَمَاهِيرِ مِنَ النَّاسِ مَمْنُونَ لَا شَأنَ لَهُمْ بِالدِّينِ وَلَا عَلَاقَةٌ لَهُمْ بِالْعَقَائِدِ الثَّابِتَةِ وَالْإِيمَانِ الْخَالِصِ ، كَمَا هُوَ مُشَاهَدٌ بِوْجَهِهِ عَامٌ فِي مجَمِعَاتِ الْعَالَمِ الْمُعَاصِرِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَربِ كُلِّيهِمَا ، وَفِي كُلِّ مَحْكَانٍ .

وَقَدْ عَلِمْنَا اللَّهُ سَبَّحَانَهُ طَرِيقَ الْعَادِلِ لِلْعِيَاهَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي قَوْلِهِ : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَأُوا وَحَاهَدُوا بِأَنَّوْلَاهِمْ وَأَنَّفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ لَسْكَنَ هُمُ الصَّادِقُونَ . قُلْ أَعْلَمُنَا اللَّهُ بِدِينِكُمْ وَأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِمْ ) . وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ ، وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ .

سعيد الأعظمي الندوبي

١٤٤١/٣/٤

٢٠١٩/١١/٢

# الدين الكامل حاجة الإنسان في كل زمان

بعلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوى

(مترجمة من الأردية)

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى أمة الإسلام بالدين الكامل ، فتكمّلت شريعة الإسلام بطريق خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك نالت أمة الإسلام بعد ما وجّهت نحو الحرية والمساواة ، لقب خير الأمة ، وذلك ما أشار إليه الله سبحانه وتعالى في كتابه قائلًا : ( كُثُّمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) ، وبذلك فرضت عليها القيم الإنسانية بكمالها ، الأمر الذي صرف الحضارة الغربية عن ذلك ، وتبدل فيها الحرية والمساواة البشرية الطبيعية بالفوضى الخلقية والفواحش ، ومن ثم طبّقت وجهة نظرها عن معاني الحرية على مجتمعات الشرق ، رغم أن هذه المجتمعات الشرقية كانت بأمس الحاجة إلى دراسة الفكر الغربي وفلسفته الحضارية ، لكي تأخذ منها ما هو في صالح البشرية وترفض ما يخالفها التي لا تتفق وطبيعة الإسلام الزكية ، ويتجنبها بالكلية ، هذه المسئولية تتجه إلى المسلمين بوجه عام من سماهم الله تعالى مسلمين ، ودعاهم بخير الأمة .

إن المجهودات التي بذلت في القرن المنصرم في مجال توجيه المسلمين إلى دينهم ورسالتهم الدينية ، وكل ما كان يتم لتذكيرهم بماضيهم المشرق ومكانتهم القيادية من أعمال وجهود كانت تتعكس في يقظتهم الدينية وشعورهم الإسلامي ، فينبغي لذلك أن يتسع نطاق ذلك النشاط الذي بعث فيه الشعور بتلاقي التوجيهات الخلقية والإنسانية ، وأخرج الأجيال والشعوب من حياة الأنعام إلى حياة الإنسان ، ووجه العالم البشري التائه إلى حياة العز والسعادة ، وتم بذلك إنقاذ العبيد من ذل

ال العبودية إلى عز الإنسانية والمساواة ، إن قادة الإسلام أخرجوا المرأة من مكانها الخسيسة الدانية ، ورفعوها إلى درجة الإنسان الكامل وتوجوها بتاج الزوجية ، وأكرموها بمكانة الأم والأخت ، وأنقذوا البنات المولودات من عذاب الوأد ، وألبسوها لباس الزينة حتى أصبحت وسيلة للنعم والملذات وكانت ذريعة للتقدم الاجتماعي ، ولم يكتفوا بذلك مع البنات فحسب ، بل أنجزوا مسؤولياتهم مع كل شيء من ذوي الأرواح من خلق الله تعالى ، وتم إحسانهم إلى الجميع ، أما دروس المساواة الإسلامية التي لقنوها على جميع المسؤوليات فقد كانت مبعث حيرة للناس جمياً ، ومن خضعوا أمام ميزة هذا الدين وعظمة الله الإسلامية ، ومن هنا فقد دخل الناس والشعوب بكمالها في دين الإسلام أفواجاً .

هناك أمثلة للجيوش المسلمة التي فتحت منطقة بأسرها ، وأهل المنطقة اشتکوا إلى خليفة المسلمين ، وقالوا : كيف تدعون أن المسلمين لا يُهاجمون بالهجوم على أي منطقة ، ولكنهم يعرضون دعوتهم إلى أهل المنطقة ، فإذا لم يقبلوا الدعوة ورفضوها هاجموهم ، إلا أن جيشكم لم يقم بهذه العملية ، وعلى ذلك أمر الخليفة بمغادرة تلك المنطقة والعودة إلى مركزه الأول ، حتى تسنح الفرصة لتجيئ الدعوة إلى أهل تلك المنطقة نحو الإسلام ، وينجزوا برنامجهم بالمصالحة ، فإذا فشلوا في ذلك ولم يجدوا من أهلها استجابة للدعوة ، لم يتلکأوا بالهجوم ومحاربة أهلها ، وهنالك عمل الجيش الإسلامي بهذه التوجيهات ، وغادر البلاد التي كان قد دخلها بدون عمل دعوي ، ثم استأنف الجيش الإسلامي نشاطه عاملاً بالمنهج العملي الذي أمر به ، الواقع الذي خلف تأثيراً عميقاً في القلوب ، ودخلت البلاد بكمالها في الإسلام . وقد روى الترمذى في سنته : أخبرني أبو الفيلض قال سمعت سليم بن عامر يقول : كان بين معاوية وبين أهل الروم عهد ، وكان يسير نحو بلادهم ، حتى إذا انقضى العهد غزاهم ، ف جاء رجل على فرس أو برذون ، وهو يقول : الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر ، فنظرروا فإذا عمرو بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية فسألته ، فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ، ولا يحلها حتى ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء " ، قال : فرجع معاوية بالناس . ( سنن الترمذى ، باب ما جاء في الغدر ) .

لقد بذل الإسلام مجهودات بالغة سلية في منح الإنسان حرية بالغة وميزة بالصفات البشرية في العصر الذي كانت المدنية المعاصرة فيه تسمح بتفرق الظالم بين الصغير والكبير ، ولم تكن الأحداث الظالمة من خلال الحرية الخلقية أمراً يُؤسف عليه بأي حال ، (اقرأوا ذلك في تاريخ أخلاق أوروبا) ، ولكن لما جاء الرسول صلى الله عليه وسلم أصدر رسالته الإنسانية العادلة التي تعتبر من أسمى القواعد التعليمية للإنسان ، لقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعاملة السلوكيَّة العادلة مع كل ذي حياة ، وبشر بالأجر السماوي في ذلك ، حتى إنه بشر بالجنة لمن يسقي كلباً عاطشاً ، وأنذر بالعذاب إذا ماتت قطة من جوع ..

أما سلوكه صلى الله عليه وسلم مع العبيد وتعاليمه نحو هؤلاء في غاية من الوضوح ، فقد كانت وصيته لأصحابه رضي الله عنهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم عن إقامة الصلاة والسلوك الحسن مع ما ملكت إيمانهم ، يقول : "الصلاوة وما ملكت أيمانكم" .

إن الجيش الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ساحة القتال جعل فيه أمير الجيش ابن خادمه السابق الشاب ، وقبل أن يتوجه هذا الجيش إلى القتال ثُوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أراد خليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه تنفيذ توجيه الجيش قال له جماعة من الصحابة رضي الله عنهم : إن هذا الجيش يشمل عدداً من كبار سادة العرب ، فإذا بدأنا القائد الشاب بسيده قوم كبير ، لكان الوضع مستحکماً ، ولكن خليفة الرسول صلى الله عليه وسلم رفض اقتراحهم ، وألح على ما فرره الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن هذا الشاب ابن خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقود الجيش ، فلم يكن من الجميع إلا الخضوع أمام رأيه الذي لم يكن موضع خلاف البتة .

وقد ربط الله سبحانه وتعالى النظام الجمهوري بحاجات الإنسان الواقعية ، مع ملاحظة احتياجات الإنسان الدينية والدنيوية ، واهتم فيه بمقتضيات حياة الإنسان المعاصرة أن يكون متقيداً بالقيم الدينية الخلقية ، لقد أكد هذا الموضوع بالشئون الدينية ، فكل من هو أكبر في المجتمع يهتم بتوجيهه أفراده الصغار نحو السير على الطريق المستقيم الصالح في شؤون الحياة كلها ، وكمثال إذا بلغ الصبي ثمان سنوات من

عمره يلقن بالصلة من غير شدة أو عقاب ، فإذا بلغ العشر ولم يطع أمر صاحبه فلا بأس أن يتاوله بشيئ من الشدة ، حتى الضرب .

إن امرأة في العهد النبوى صدرت منها جريمة السرقة ، وكانت ذات علاقة بأسرة عالية ، فشفع لها أهلها بالمراعاة معها في أمور السرقة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أبدى سخطه ورفض كل مراعاة .

فعن عائشة رضي الله عنها - أيضاً - : أَنَّ قُرْيَشًا أَهْمَمُ شَاءَنَ الْمَرْأَةَ الْمُخْرُومِيَّةَ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالُوا : وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَحْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حَبْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَمَهُ أَسَامَةً ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَشْفُعُ فِي حَدِّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ! ، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّمَا أَهْلُكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقُوا فِيهِمُ الْمُضَعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيْمُ اللَّهُ لَوْأَنَّ فَاطِمَةَ بُنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " ، رواه البخاري ( ٣٤٧٥ ) ومسلم ( ١٦٨٨ ) .

وكانت سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الأمور الدينية أن يبذل الإنسان جهده لكسب المعاش ، من غير أن يعيش متطلعاً إلى مساعدات أو عطاءات ، ذات مرة جاء شخص يسأله شيئاً ، فلم يطب لسؤاله ، وسأله مما إذا كان يملك شيئاً فأخبر أنه لا يملك إلا قصعة ورداء ، فقال : هات بهما وباعهما بدرهمين بطريق المناداة ، فأعطاه درهماً لكي يشتري به حاجة من الأكل والطعام واشتري له بالدرهم الثاني قدوماً ، وشد فيه قبضة من الخشب بيده المباركة ، وأعطاه ، وقال له : اذهب إلى الغابة واقطع به أحشاماً وبعها واقض به حاجتك المعيشية ، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسألة ، فقال : أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ ، فقال : بلى حلس نليس ببعضه ، ونبسط بعضه وعقب نشرب فيه من الماء ، قال : أَتَتِي بِهِمَا " فَأَتَاهُمَا ، فأخذهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيده ، وقال : " من يشتري هذين ؟ " . قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ، قال : " من يزيد على درهم ؟ " مرتين أو ثلاثة ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين ، فأعطاهما الأنصاري ، وقال : " اشترا بأحدهما طعاماً ، فانبذه إلى أهلك ، واشتري بالآخر قدوماً ، فائتني به ، فأتاه به ،

فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عوداً بيده ، ثم قال : " اذهب ، فاحاتطب ، وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوماً " ، فذهب الرجل يحاتطب وبيع ، فجاءه ، وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوباً وببعضها طعاماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هذا خير لك من أن تجيئ المسألة نكتة في وجهك يوم القيمة ، إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : الذي فقر مدقع ، أو الذي غرم مفطع ، أو الذي دم موجع . (رواه ابن ماجة في سننه) . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجة الفقير في جانب ، ويرغب الناس في مساعدة الفقراء ، ولكنه كان يضع سداً على السؤال بأسلوب جيد . وقد روى عن أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص بن أبيه بن عبد مناف بن زهرة بن كلابي بن مرّة بن كعب بن لؤي ، القرشي ، الزهراني رضي الله عنه ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة - رضي الله عنهم - قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي ، قلت : إني قد بلغ بي من الوجع ما شرّى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثي إلا ابنة لي ، أفالتصدق بي ثلثي مالي ؟ قال : لا ، قلت : فالشطر يا رسول الله ؟ قال : لا ، قلت : فالثلث يا رسول الله ؟ قال : الثلث ؛ والثلث كثیر - أو كثیر - إنك أن تذر ورثتك أغنىاء ، خير من أن تذرهم عالة يتکفرون الناس ، وإنك لن تتفق نفقة تتبعني بها وجهة الله إلا أجرت بها ، حتى ما تجعل في في امرأتك ، قال : قلت : يا رسول الله ، أخلف بعد أصحابي ؟ قال : إنك لن تحلف فتعمل عملاً تتبعني به وجهة الله إلا أزدلت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تحلف حتى يتبعك أقوام ، ويضررك آخرون ، اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد ابن حولة ؛ يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة ؛ متفق عليه .

هذه الأحداث التاريخية وأمثالها توافر بعده وجيه لا تزال مطلوبة في تاريخنا ، ولكن لا ينبغي أن نتركها مطوية في صفحات التاريخ ، فلا بد من إبرازها إلى ساحة الحياة المعاشرة ، ليطلع عليها الناس ويعرفها إخواننا من غير المسلمين لكي يعرفوا تلك الدروس المهدأة إليهم ، وإلى المجتمعات كلها من الهدايا الإنسانية التي قدمت إلى العالم ، وإلى من لم يتذوق لذة الإيمان ليعرف كيف أن الإسلام زود الناس بزاد من الحب

والأخوة ، ويدركوا أننا عشنا في خطأ فاحش حينما زعمنا أن المسلمين يعيشون عيشة الظلم والإرهاب ، إلا إذا كان حادث من الظلم والبغي صدر من مسلم فليس ذلك إلا خطأ الذي يتفرد به ، ولا علاقة له بالدين الإسلامي ، بل إنما هو دين الرحمة ونبي الإسلام رحمة للعالمين جميماً ، إنما الدين يدعو إلى النصح مع الآخرين ، وبنهى أتباعه عن كل منكر . فالحاجة ماسة إلى أن نغير ما قد ترکز في نفوس المعارضين والمعاندين من عناد ، وننهاهم عن كل منكر يوجه للإسلام ، ومن أفكار زائفة لا شأن لها بالحقيقة في أي حال ، واجب علينا أن نكشف الغطاء عن هذه الدعاية الكاذبة .

اليوم يستهدف المسلمون في كل مكان ونساء سمعتهم ، ويُتهمون باتهامات منوعة كثيرة ، الواقع الذي يشغل المسلمين بالدفاع عنهم ، وبذل طاقاتهم في سبيل ذلك ، إلا أن مثل هذه الطاقات والجهودات كلها تذهب هدراً وتendas بأقدام نحسة ، فإن من ينتهي إلى الإسلام ويُعرف باسمه الإسلامي إنما يُرَدَّ تحت مصابيح جسام ، كأن هناك سباعاً أقوىاء تجتمع للفتك بال المسلمين والقضاء عليهم .

إذن لا بد من تغيير هذه المصيبة بقدر ما يمكن عن طريق الدعوة إلى دين الله وأساليب الحياة الدعوية ذات تأثير سريع ، ومن مقاومة الظلم الذي يُصْبِّ على المسلمين رغم معرفة الحقيقة الدينية التي لا تخفي على أعدائنا الذين يظلموننا من غير إنصاف ، مع أنهم يعرفون معنى الظلم ، فإذا قمنا بتعريف هذه الطريقة الظالمة بكل وضوح ورأينا أنهم لا ينصرفون عن طبيعتهم الشريرة فلمنا بمقاومتها بكل شجاعة ، ونجعل جيل المستقبل المسلم في صيانة تامة ، ونصونهم من كل خطر وفساد يأتي من قبل التدابير الفاسدة التي يشاهدونها فيتأثرون بها ، وذلك لا يمكن إلا بالتربية الصالحة التي نتناولهم بها في ضوء التعاليم الإسلامية الصحيحة التي تحول دون كل فساد في العقل والدين والحياة ، بمشيئة الله تعالى .

(ترجمة : سعيد الأعظمي)

## البلاغة والإعراب والبيان في القرآن الكريم

(أول سورة الشعراء)

باقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان \*

٨ ( إِنْ فِي ذَلِكَ لَا يَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ) .

تكررت في السورة ثمان مرات ، وسيجيئ الكلام عليها لاحقاً .

١٢ ( قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ) .

**إِنْ – يُكَذِّبُونِ :**

رب ! منادي مضاد منصوب بالفتحة المقدرة على ما قبل الياء المحدوفة للتخفيف ، والنون المذكورة في ( يُكَذِّبُونِ ) نون الوقاية جاءت قبل الياء المحدوفة لمناسبة الفاصلة للآية .

١٤ ( وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ) .

**يَقْتُلُونِ :**

مثل يكذبون جاءت نون الوقاية قبل الياء المحدوفة للتخفيف ولمناسبة الفاصلة .

١٦ ( فَأَتَيْا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ) .

**رَسُولُ :**

عبر عن المشى بالفرد ، لأن الرسول بمعنى الرسالة ، وكثيراً ما يعبر القرآن بالفرد عن الجمع ( هُؤُلَاءِ ضَيْفِي ) ، والقصة مبنية في السورة على الوحدة ، لا على التثنية ، مما قبل الآية وما بعدها .

٢٠ ( قَالَ فَعَلَتْهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ ) .

**مِنَ الظَّالِمِينَ :**

كيف قال موسى ( وَأَنَا مِنَ الظَّالِمِينَ ) ؟ والنبي لا يكون ضالاً ، والجواب : أراد موسى عليه السلام من المخطئين لأنني لم أتمدد قتيله ، وإنما أردت تأدبيه ، ولم يقصد الضلال عن الهدى ، وكان ذلك قبل

\* وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً .

النبوة والرسالة .

٢٣ ( قالَ فَرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ) .

٢٤ ( قالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا يَنْهَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ) .

٢٨ ( قالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا يَنْهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ) .

### مُوقِنِينَ — تَعْقِلُونَ :

عارض موسى قول فرعون ( إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَمْجُنُونٌ )

فلما رأى عنادهم فاستفهم بـ ( تَعْقِلُونَ ) .

٢٩ ( قَالَ لَعِنَ أَتَحَدَتْ إِلَيْهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ) .

### مِنَ الْمَسْجُونِينَ :

وإنما قال من المسجونين ، ولم يقل لأسجنتك ، لإرادته الدوام

والاستقرار ، ومن المخلدين في السجن .

٥٠ ( قَالُوا لَا ضِيرٌ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ) .

### مُنْقَلِبُونَ — لَمْنَقَلِبُونَ :

وجاء في سورة الزخرف ( وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمْنَقَلِبُونَ ) ١٤ ، لم يثبت في الشعراء اللام لأن هنا كلام السحرة حين آمنوا ولا عموم فيه ، فناسب عدم التأكيد ، وفي الزخرف عام لمن ركب مسافراً ، فناسب التأكيد .

٧٨ ( الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ) .

٧٩ ( وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِنِ ) .

٨٠ ( وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِي ) .

٨١ ( وَالَّذِي يُمْسِي ثُمَّ يُحْسِنِ ) .

### يَهْدِينِ — يَسْقِنِ — يَشْفِي — يُخْسِنِ :

حذفت الياء من الفعل للفوائل للتخفيف ، وزاد ( هو ) عقب الذي في الإطعام والستقي ، لأنهما مما يصدران من الإنسان عادة ، فذكر هو تأكيداً إعلاماً بأن ذلك منه تعالى لا من غيره ، بخلاف الخلق والموت والحياة لا تصدران من غير الله تعالى .

### وَإِذَا مَرَضْتَ :

لم يقل أمرضني كما قال قبله : خلقتني ويهدين ، لأنه كان في

عرض الشاء على الله ، وتعداد نعمه فأضاف تلك إليه ، ثم أضاف المرض إلى نفسه تأدباً مع الله تعالى ، كما في قول الخضر ( فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيهَا ) .  
٨٣ ( رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنَى بِالصَّالِحِينَ ) .

### البلاغة في التقديم :

فقد طلب الحكم أولاً ، ثم طلب الإلهاق بالصالحين ، والسر فيه دقيق جداً ، ذلك أن القوة النظرية مقدمة على القوة العملية ، فالعلم صفة الروح ، والعمل صفة البدن ، والروح أشرف من البدن ، والعلم أفضل من الصلاح .

٨٤ ( وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صَدْقَ فِي الْآخِرِينَ ) .

أي اجعل لي ثناءً حسناً فيَ الذين يأتون من بعدي ، فاللسان مجاز عن الذكر ، بعلاقة السببية .

٩٤ ( فَكُنُبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ) .

### البلاغة - قوة اللفظ بقوة المعنى :

تكرير الكلمة ، تكرير الكلمة في اللفظ دليلاً على التكرير في المعنى ، كأنه إذا ألقى ينكب مرةً بعد مرة .

١٠٠ ( فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ) .

١٠١ ( وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ ) .

جمع الشافع ووحد الصديق ، وذلك لكثره الشفاء وقلة الأصدقاء ، والصديق الحميم أذر .

١٠٦ ( إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخْوَهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ) .

### الاتئفون :

جاءت هذه الآية في خمسة مواضع ، للتبيه على أن دعوة الرسل الكرام واحدة ، وهو فهم واحد ، فهم لا يطلبون من أحد أجرًا ولا مالاً ، ولا شيئاً من حطام الدنيا على تبليغهم الرسالة ، إنما يطلبون الأجر من الله وحده ، والمواضع الخمسة في قصة نوح ، وهود ، صالح ، ولوط ، وشعيب .

١١٠ ( فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ) .

### التكبير للتأكيد :

ذكره في ثلاثة مواضع في قصة نوح ، وهود ، صالح ، واكتفى في لوط ( قال إني لعملتكم من أفالين ) ، وفي شعيب قال : ( واتقوا الذي خلقتموه والجلة الأولين ) .

١٥٤ ( مَا أنت إلا بشرٌ مثلكم فاتت بايَةٍ إن كُنْتَ مِن الصادقين ) .

**مَا أنت إلا بشرٌ مثلكم – وما أنت إلا بشرٌ مثلكم :**

هنا بدون واو في قصة صالح عليه السلام ، وفي قصة شعيب عليه السلام جاء بالواو ( وما أنت ) ، لأن صالح عليه السلام قلل في الخطاب فقللوا في الجواب ، وأكثر شعيب عليه السلام في الخطاب فأكثروا في الجواب .

١٥٧ ( فَعَرَفُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِين ) .

### نادمين :

كيف أخذهم العذاب بعد ما ندموا على جنایتهم بعد عقر الناقة ؟  
والجواب : أن ندمهم كان عند معاينة العذاب ، وقد يكون ندمهم على فقدان الحليب الذي يشربونه منها .

٢٢١ ( هَلْ أَبْيَكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلَ الْشَّيَاطِينُ ) .

٢٢٢ ( تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَاكِ أَثِيمٍ ) .

٢٢٣ ( يُلْقَوْنَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ) .

٢٢٤ ( وَالشُّرُّاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ) .

٢٢٥ ( أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِمُّونَ ) .

**تنزل – أكثرهم – في كل واد يهيمون :**

( تنزل ) اقطع من الفعل بسبب الحديث ، أما كيف قال أكثرهم بعد ما قال كل أفالك أثيم ؟  
والجواب : الضمير في أكثرهم للشياطين لا للأفاسين .

### البلاغة :

التمثيل : ذكر الوادي واله يوم ، فيه تمثيل لذهباتهم في كل شعب من القول ، وقلة مبالغتهم بالغلو في المنطق .

## الد راستة التحليمية لأساليب النبي صلى الله عليه وسلم التعليمية

( الحلقة الثانية الأخيرة )

الأستاذ أبو أنس رفيع الله بن كمال خان المرودي \*

### المرحلة الثانية : التمرین على استنباط الأحكام :

ففي بداية هذه المرحلة كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرض على الصعابة النظائر حتى يستخرجوا في ضوئها حکم ما يكون مثلاً ، وهذه في الحقيقة كانت الخطوة الأولى إلى تعلم الاجتهاد بالرأي في المسائل التي لم يرد النص فيها ، وقد نجح النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا ، فقد تریى على يديه المجتهدون الذين كانوا يجتهدون في المسائل بآرائهم ، وقد أظهر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفرح عند ما علم وسمع من معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حينما كان يرسله إلى اليمن في الإجابة عن السؤال : كيف تقضي إن عرض لك قضاء ، ولم تجد في كتاب الله ، ولا في سنة رسول الله ؟ قال : "أجتهدرأيي ولا آلو" ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ، وقال : "الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يري رسول الله " .<sup>١</sup>

### أساليب هذه المرحلة :

#### ضرب النظير بالنظير :

كما ورد في حديث ابن عباس - رضي الله عنه - أن رجلاً جاء إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد نذرت أختها أن تحجج وهي ماتت قبل ذلك : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " لو كان عليها دين

\* الأستاذ المشارك في قسم التخصص في اللغة العربية بجامعة ابن عباس رضي الله عنهما ، كراتشي .

<sup>١</sup> أبو القاسم الطبراني ، المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب الهمي الشامي (المتوفى : ٣٦٥ هـ) ، المحقق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة : الثانية ، ج ٢٠ ، ص ١٧٠ .

أكنت قاضيه؟ قال : نعم ، قال : "فاقتضى الله ، فهو أحق بالقضاء" <sup>١</sup> .  
 ففي هذا الحديث عرض عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -  
 النظير وعن طريقه علمه استخراج الحكم لنظيره الآخر .  
 وكذلك عند ما أخبر الصحابة - رضي الله عنهم - بأن في بضم  
 أحدكم صدقة ، فقالوا : أيأتي أحدنا شهوة ويكون له فيها أجر <sup>٢</sup> ؟  
 فعلمهم عن طريق ضرب النظير بالنظير ، فقال : "رأيتم لو وضعها في  
 حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحال كان له  
 أجر" <sup>٣</sup> .

### ذكر المقدمات ليقرب عليها النتيجة :

تارةً كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكر للمتعلم  
 المقدمات ليوصل بها إلى النتيجة ، وإن هذا الأسلوب له أثر في الاقناع ،  
 وفي نمو قوة العقل ، وهذا ما ورد في حديث أبي أمامة - رضي الله عنه -  
 أن فتى شاباً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ،  
 اثذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : منه . فقال رسول  
 الله - صلى الله عليه وسلم - له : "أتحبه لأمرك"؟ قال : لا يا رسول الله ،  
 جعلني الله فداك ، قال : "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" ... ، ثم سأله  
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا السؤال حول بنته ، فأجاب  
 الفتى نفس الجواب ، ثم حول أخته ، ثم حول عمته ، ثم حول خالته على  
 النمط الأول ، ثم دعا له ، فلم يكن ذلك الفتى بعد يتلفت إلى شيء ،  
 ففي هذا الحديث ذكر لفتى المقدمات المسلمة عنده حتى يتوصل إلى  
 النتيجة ، وإلى قباحت الزنا بنفسه ، حتى اقتنع .

### التشجيع على استنباط الأحكام والتعقيب على اجتهاده :

ومن أهم أساليب هذه المرحلة التشجيع ، فإذا قام أحد من  
 الصحابة على استخراج الحكم ، واجتهد فيه ، فكان يعرضه على  
 رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليعرف رأيه ، عليه الصلاة

<sup>١</sup> البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٨ ، ص ٢١٤ ، رقم الحديث : ٦٦٩٩ .

<sup>٢</sup> مسلم ، مسلم بن الحاج ، الجامع الصحيح ، رقم الحديث : ١٠٠٦ ، ج ٢ ، ص ٦٩٧ .

<sup>٣</sup> الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٨ ، ص ١٨٣ ، رقم الحديث : ٧٦٨٠ .

والسلام فيه ، فإذا أصاب شجعه ، وإذا أخطأ فيه لم يعنف ، كما جاء في حديث أبي سعيد - رضي الله عنه - أن رجلين تيمماً وصلياً ، ثم وجدا ماءً في الوقت ، فتوضاً أحدهما ، وعاد لصاته ما كان في الوقت ، ولم يعد الآخر ، فسأل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال للذى لم يعد : "أصبت السنة ، وأجزأتك الصلاة" . وقال للآخر : "أما أنت فلك مثل سهم جمع" <sup>١</sup> .

و كذلك لما اجتهد الصحابة في صلاة العصر في الطريق يوم الأحزاب بعد أن أمرهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بـ "لا يصلين أحد إلا في بيتي قريظة" . فبعضهم صلوا في الطريق ، والآخرون لم يصلوا ، فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف أحداً <sup>٢</sup> .

#### الزجر على عدم استخدام العقل :

وبما أصل الشيء في هذه المرحلة استخدام العقل وقت الاجتهاد : لذا كان يزجر لو لم يستخدم أحد عقله وقت استخراج الحكم ، والدليل على ذلك ما حدث مع الصحابة في سرية ، أنهم أغضبوا الأمير ، فأمرهم بجمع الحطب ، فجمعاًوها ، ثم أمرهم بإيقاد النار ففعلوا ، فقال الأمير : ألم يأمركم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن تسمعوا لي وتطيعوا <sup>٣</sup> قالوا : بلـ ، قال : فادخلوها ، قال : فنظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من النار ، فما دخلوها ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : "لو دخلوها ما خرجوا منها ، إنما الطاعة في المعروف" <sup>٤</sup> . فهنا استخدمو العقل ، ولو لم يستخدموه لما خرجوا من النار ، وهذا كان الزجر من النبي - صلى الله عليه وسلم - في صورة عدم استخدام العقل .

#### المرحلة الرابعة : التطبيق العملي تحت إشراف النبي صلى الله عليه وسلم :

التدريب على تطبيق ما تعلم تحت إشراف المشرف من أهم مراحل

<sup>١</sup> أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ( المتوفى : ٢٧٥ هـ ) ، سنن أبي داود ، المحقق : محمد محبي الدين عبد الحميد ، المكتبة المصرية ، بيروت ، ج ١ ، ص ٩٢ ، رقم الحديث : ٣٣٨ .

<sup>٢</sup> البخاري ، محمد إسماعيل ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص ١٥ ، رقم الحديث : ٩٤٦ .

<sup>٣</sup> أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج ، الجامع الصحيح ، ج ٣ ، ص ١٤٦٩ ، رقم الحديث : ١٨٤٠ .

التعليم ، فإن أحداً مثلاً إذا درس قواعد الإفتاء ، ولم يتمرن على إصدار الفتوى عملياً تحت إشراف المفتى ، فإنه لا يمكن من إصدار الفتوى في المستقبل وإن حفظ القواعد ، وبما أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يُعدُّ المجتهدين الذين كانوا سيقومون بعمله - عليه السلام ، وينبئون عنه ؛ لهذا قام بتدريبهم العملي تحت إشرافه - عليه السلام - إلى أن صقلت مواهبهم وتجلت بكل ما ينبغي أن يكون .

**من أساليب هذه المرحلة :**

#### **التكليف بحل المشكلة تحت إشرافه عليه السلام :**

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يكلف صحابياً يريد تدريسه بالقضاء بين الخصميين ، وهو كان يشرف على قضائه ، كما كلف عمرو بن العاص - رضي الله عنه - بالقضاء بين الخصميين ، عندما جاءه مخاصمين عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان عمرو في حضرته ، فقال عمرو : يا رسول الله ، أقضى فيما وأنت شاهد !؟ فقال : "أقض بينهما" . قال : على ما ذلك ؟ قال : "إن اجتهدت فأصبت فلك حسنتان ، وإن أخطأت فلنك حسنة واحدة" <sup>١</sup> .

#### **طلب المشورة في حل القضية والتعقيب على الجواب :**

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أحياناً يقول لصحابي أشر على في كذا لمعرفة قدرته وملكته في الإجابة ، وإصدار الفتوى ، واستبطاط الحكم ، فإذا أصاب أشني عليه ، كما قال لسعد بن معاذ - رضي الله عنه - في الحكم فيبني قريظة : "أشر على في هؤلاء" . قال : إنني أعلم أن الله قد أمرك فيهم بأمر أنت فاعل ما أمرك الله به . قال : "أجل ، ولكن أشر على فيهم" . فقال : لو وليت أمرهم قتلت مقاتلتهم ، وسببيت ذراريهم ، وقسمت أموالهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذي نفسي بيده لقد أشرت على فيهم بالذى أمرني الله به" <sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> الطبراني ، المعجم الوسيط ، المحقق : طارق بن عوض ورفاقه ، دار الحرمين ، القاهرة ، ج ٨ ، ص ٣٧ ، رقم الحديث : ٧٨٨٨ .

<sup>٢</sup> ابن سعد ، أبو عبد الله محمد بن سعد (المتوفى : ٢٣٠ هـ) ، الطبقات الكبرى ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٠ م ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

**المرحلة الخامسة : إعداد المعلمين والمفتين :**

النبي - صلى الله عليه وسلم - لقد روى أصحابه بيديه ، وفقههم ، ودربيهم على ذلك تحت إشراف عليه الصلاة والسلام تطبيقاً عملياً ، حتى تجلى قدراتهم ، تتبلور غزائرهم الفقهية ، في حياته المباركة ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - عينهم كمدرسین ، ومفتین حتى لو وجدوا مشكلة في التعليم والاجتهاد فيرجعون إليه ، فتتقى ملكتهم ، وكذلك كانوا أيضاً يراجعون في قضيائهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فيصح لهم إن أخطأوا ، كما سيأتي في قصة عبادة بن صامت - رضي الله عنه ، وهذا كان المطلوب في هذه المرحلة .

وقد نجح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذلك نجاحاً باهراً ، فوصل تلاميذه - عليه الصلاة والسلام - إلى مرحلة النبوغ والكمال ، ونضجت ملكتهم ومواهبهم ، وأصبحوا في حياته - عليه الصلاة والسلام - الفقهاء المجتهدين الذين ما نزلت عليهم نازلة إلا وحلوها ، وخلفاء الراشدين الذين ما رأوا طريق النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا وسلكوها ، والقادة القادرين الذين ما ظهرت الفتنة أمامهم إلا وحمدوها ، الساسة الماهرين الذين غيروا مجرى التاريخ في حياتهم .

**أساليب هذه المرحلة :****تكليف الصحابة على التدريس :**

النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما رأى أن تلاميذه قد وصلوا إلى مرتبة الكمال في التعليم ، عينهم كمعلماً للآخرين حتى يستفيد ، ويفيد ، وفي الحقيقة هذه أيضاً تعد من مراحل التعليم ، وقد سميت بـ "التعلم عن طريق التعليم"؛ وذلك لأن بالتعليم ينكشف الستار عن مهاراته التعليمية والتدرисية المكنونة؛ فإن المتعلم كما يكون بحالة إلى إشراف المشرف في جميع مراحل التعليم ، وكذلك هو بحاجة إلى مراقبته في مراحل التدريس أيضاً؛ لأن الانتقال من مرحلة التعليم - ولو وصل المتعلم إلى مرحلة النضج فيها - إلى مرحلة التدريس والتعليم هو تطور كبير جداً؛ لهذا اختار النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا الأسلوب ، والدليل على ما قاله عبادة بن صامت - رضي الله عنه - : علّمت ناساً من أصحاب الصفة الكتاب والقرآن ، فأهدي إلى رجل منهم قوساً ، فقللت :

ليس بمال ، وأرمي عنها في سبيل الله ، لأنّي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلأسألنّه ، فأتيته ، فقلت : يا رسول الله ، رجل أهدى لي قوساً منك أعلم الكتاب والقرآن ، وليس بمال ، وأرمي عنها في سبيل الله ، فقال : " إن كنت تحب أن تطوق بها طوفاً من نار فاقبلاها " <sup>١</sup> .

**الإذن بإصدار الفتوى في حياته بل بحضور النبي صلى الله عليه وسلم :**  
ولقد أذن النبي - صلى الله عليه وسلم - لبعض أصحابه المجتهدين بالفتوى في حياته ، وقد ذكرهم محمد بن القاسم أربعة ، وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي - رضي الله عنهم أجمعين <sup>٢</sup> ، وذكرهم أبو خيثمة ستة ، ثلاثة نفر من المهاجرين ، وهم : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وثلاثة من الأنصار ، وهم : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت <sup>٣</sup> .

#### تعيينه كمفتٍ خارج المدينة :

ولقد أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الفقهاء من أصحابه إلى المدن الأخرى لتعليم القرآن والأحكام الشرعية ، وأذن لهم بالاجتهاد بالرأي في الأمر الذي لم يجدوا لا في الكتاب ولا في السنة ، كما ذكر في حديث معاذ بن جبل - رضي الله عنه - حينما عيشه إلى اليمن ، وسأله بماذا تقضي ، فعندما أجاب معاذ بأنه يقضي بالكتاب ، وإنما يجتهد برأيه ، ففرح النبي - صلى الله عليه وسلم - بجوابه وقال : " الحمد لله الذي وفق رسول

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما يرضي رسول الله " <sup>٤</sup> .

عن علي رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن وأنا حديث السن ، قال : فقلت : بتعشني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء ، قال : " إن الله سيهدي لسانك ويشتت

<sup>١</sup> أبو بكر بن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن إبراهيم ( المتوفى : ٢٢٥ هـ ) ، المصنف ، المحقق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة : الأولى ١٤٠٩ ، ج ٤ ، ص ٣٤١ ، رقم الحديث : ٢٠٨٤٢ .

<sup>٢</sup> ابن سعد ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ .

<sup>٣</sup> المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٦٧ .

<sup>٤</sup> الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ٢٠ ، ص ١٧٠ .

قلبك " قال : فما شَكِّتْ في قضاء بين اثنين <sup>١</sup> .

### المرحلة السادسة : منح شهادة النبوغ في الفن :

عند ما كان يصل أحد من الصحابة نبوغه في فنه فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعطيه شهادة التخرج ، بأن يشهد على كماله في فنه ، ويبحث الآخرين من التعلم منه ، وإليك الأمثلة :

عن أنس بن مالك عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل <sup>٢</sup> .

عن أنس ، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " أفرضهم زيد بن ثابت " <sup>٣</sup> .

حث النبي - صلى الله عليه وسلم - على تعلم القرآن من أربعة :  
 عن عبد الله دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر ،  
 وعمر ، فتشعوا عنده ، فلما فرغوا خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أبي بكر ، وعمر على ابن مسعود وهو قائم يصلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من سره أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل ، فليقرأ على قراءة ابن أم عبد " ، ثم قعد ، ثم سأله ، فجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : " سل تعطه ، سل تعطه " فقال : فيما سأله : اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ، ونعماما لا ينفد ، ومرافقه نبيك - صلى الله عليه وسلم - في جنة الخلد ، فأتى عمر عبد الله بن مسعود ببشره ، فوجد أبا بكر رضي الله عنه خارجا ، وقد سبقه ، فقال : إن فعلت لقد كنت سباقا بالخيرات <sup>٤</sup> .

فهذه كانت شهادة من النبي - صلى الله عليه وسلم - إياه لكماله في القراءة ، ويا لعظمة الشهادة ! وقد بشر أبا بكر - رضي الله عنه - بها .

وفي رواية " أقرعوا القرآن من أربعة نفر ، من ابن أم عبد " ، فبدأ

<sup>١</sup> ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل البداية والنهاية ، ج ٥ ، ص ١٢٥ .

<sup>٢</sup> ابن سعد ، محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ٢٦٤ .

<sup>٣</sup> البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي ( المتوفى : ٤٥٨ هـ ) ، السنن الصغيرة ، المحقق : عبد المعطي أمين قلعجي ، جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، الطبعة : الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ ، رقم الحديث : ٢٢٨٠ .

<sup>٤</sup> الطبراني ، ج ٩ ، ص ٦٧ ، رقم الحديث : ٨٤١٥ .

به ، " ومن أبي بن كعب ، ومن سالم مولى أبي حذيفة ، ومن معاذ بن جبل " .<sup>١</sup>

### الاستنتاجات :

أهم النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة ما يلي :

١. بدأ تعليم القرآن ، وتفقيه الأحكام الشرعية في العهد المكي في دار أرقام .
٢. أول كلية العلوم الإسلامية التي أسست في تاريخ الإسلام هي " الصفة " .
٣. كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يستخدم وسائل التعليم المتوافرة في ذلك الوقت .
٤. كان عند النبي صلى الله عليه وسلم مراحل للتعليم والتفقيه ، وكان - عليه الصلاة والسلام - يختار لكل مرحلة أساليب خاصة تتوافق ذلك المستوى .
٥. مراحل التعليم كانت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - ست مراحل ، وهي على ما يأتي :
  ١. الترغيب .
  ٢. بداية التعليم والتفقيه ، هذا بدأ في العهد المكي .
  ٣. التمرین على استخراج الأحكام ، في هذه المرحلة كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم طريقة استخراج الأحكام عن النظائر .
  ٤. التطبيق العملي على القيام بالقضاء ، وحل المسائل تحت إشرافه - عليه السلام - ، ثم كان يعقب على قضائه .
  ٥. إعداد المعلمين والمجتهدين : أي مرحلة تعينهم كمعلم ومفت حتى تتبlier قدرات التعليم وإصدار الفتوى عنده .
  ٦. منح شهادة النبوغ في الفن : عند ما كان يصل صاحبي إلى درجة النبوغ والكمال في فن ما فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يشهد له بذلك ، ويبحث الناس بالتعلم منه .

<sup>١</sup> المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٦٦ ، رقم الحديث : ٨٤١٠ .

## التربية الإسلامية : مميزاتها وأسلوبها

بعلم : الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوبي

### مميزات التربية الإسلامية :

العقيدة في التربية الإسلامية هي أساس التربية ، وعليها يتوقف نجاح الإنسان في حياته ومعاده ، وهي الواقع والحارس الأمين ، وهي كالعيون الساهرة ، والعقيدة في أساس تربية الأنبياء والرسل ، وهم قدوة التربية والتعليم ، ولم يفرد الإسلام العقيدة ، بل قرناها بالعمل الصالح ، والتواصي بالحق والصبر ، أي تجشم المصائب في الحياة من أجل القيم ومن أجل نزاهة الحياة ، وكراهة الإنسان ، وبذلك احتفظ الإسلام بكرامة الفرد ، وكراهة المجتمع ، فليس الإنسان الأمثل في التربية الإسلامية المواطن الذي يكسب قوته ، ويشبع نهامته ، بل الإنسان الصالح في نظر الإسلام هو المؤمن الصالح الذي يعرف فضل خالقه ، ويقضي حياته كما يحب خالقه ، ويعيش بين عباده كرجل صالح وعضو كريم من أعضاء الأسرة الإنسانية، يسعى إلى إسعاد البشرية جموعاً ، ليس إلى إسعاد نفسه فقط ، بل الإنسان الأمثل في نظر الإسلام هو الذي يضحي بسعادة نفسه ، بل سبيل إسعاد غيره . وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَّاصَةً (العاشر : ٩) ، وهنا تختلف التربية المادية عن التربية الإسلامية ، فال التربية المادية تربية الأثرة ، وتربية الإسلام هي تربية الإيثار والإخلاص في العمل .

تضع التربية الإسلامية كل شئ في موضعه بطريق لا يرتجح جانب من جوانب النشاط الإنساني ، وبطريق تزن نوازع الجسم والعقل والروح ، وتوجه الإنسان إلى أن يكون المثل الأعلى لغيره ، وترغب في أن يصعد الإنسان إلى الدرجات العلي ، فتشمل رعاية الإنسان في التربية الإسلامية على النشاطات الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية والذوقية والروحية والوجدانية ، وتوجيه هذه النشاطات إلى غاية أسمى .

والفرد في نظر الإسلام هو مواطن مؤمن ، والمجتمع في الإسلام

مجتمع مسلم تتحقق فيه عبودية الله وحده ، وتحقق بتحقيقها فضائل الحياة الاجتماعية من تعاون وتكافل وتضامن ومحبة ، بدون فقدان الموهاب والذاتيات والقومات الشخصية ، وهنا بعض مميزاتها :

١. إنها تربية لنفس الإنسان تتجه إلى الفضائل ، وتدعو إلى خير الإنسانية ، أفراداً ومجتمعات ، قال الله تعالى : يَا إِيَّاهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَّأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُورًا وَّقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتُّقَاضَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَسِيرٌ (الحجرات : ١٢) ، وقال في موضع آخر : يَا إِيَّاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَيَ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِّنْ نِسَاءٍ عَسَيَ أَنْ يَكُنْ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَازِبُوا بِالْأَقْلَابِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (الحجرات : ١١) .
٢. التربية الإسلامية تكتفِي الحياة من جميع جوانبها ، فهي تتميز بالشمول والتاسب الدقيق .
٣. التربية الإسلامية تربية إنسانية ، تهتم بصيانة شرف الإنسان ومكانته ، وتوسيع آفاقه ، وليس خاصة بأمة ولا بقوم .
٤. التربية الإسلامية تربى النوازع البشرية والدوافع وتنقيتها وتوجهها إلى مثلها الأعلى .

٥. التربية الإسلامية تربية التوافق ، والتعادل والتوازن ، وهي تراعي فروق طبائع الإنسان ، وتحترمها كقوله تعالى : فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ (آل عمران : ١٩٤) ، وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ دُلْكَ مِنْ عَزْمِ الْأَمُورِ (آل عمران : ١٨٦) .

ولا تتحقق آثار التربية الإسلامية إلا بالرجوع إلى القرآن والسنة ، وهو المصدرين الرئيسيين ، لتوجيه الحياة العامة والقيادة إلى هدف أسمى يبيغ فيه الإسلام ، وهي طاعة الله تعالى ، والاهتداء بهدي رسوله صلى الله عليه وسلم ، والعمل لإسعاد البشرية جموعاً ، بما وهبه الله تعالى كل إنسان من قدرات سواء كانت جسمية أو عقلية أو روحية وابتفاء وجه الله تعالى في كل عمل .

لقد قرن القرآن الكريم التربية بالتعليم ، فقال : هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأَمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَنْذُلُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا

من قبْلِ لَفْي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (الجمعة : ٢) .  
وقد أطلق القرآن الكريم لفظ الحكمة كذلك على الأخلاق والآداب ، والتلطيف في الكلام والحكم ، فقال في موضع : أذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَهُمْ بِالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهَتَّدِينَ (النحل : ١٢٥) ، وقد دعا القرآن الكريم إلى الحكمة في الحياة كلها ، وإلى الإحسان ، واحترام كرامة الإنسان ، والعمل والجد والاجتهاد .

### أسلوب القرآن في معالجة طبيعة الإنسان :

كان الكسب وإشباع الجنس من الغرائز الطبيعية للإنسان ، فتميل إليها طبيعة الإنسان بدون توجيه أو إغراء ، فاستعمل القرآن طريقاً مختلفاً في هذين الموضوعين ، فإنه حدد مواضع الكسب بالحلال ، وبحيث إنه لا يقع ذكر الله ، لأنه هو المقصid الأول للإنسان ، وما خلقتُ الجنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ (الذاريات : ٥٦) ، فقال وهو يصف الرجال الذين جمعوا بين الكسب وذكر الله . رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا يَبْغُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ (النور : ٣٧) .

إِنَّمَا فُضِّيَّتِ الْصَّلَوةُ فَاتَّشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُلْحَوْنَ (الجمعة : ١٠) .

وأكَدَ القرآن على الإنفاق أكثر من الكسب ، لأن الكسب من طبيعة الإنسان ، وبين مواضع الإنفاق وحث عليه لتطهير الأفراد والمجتمعات من حب المال ، والاستغلال والأثرة ، التي هي مصدر كل بلاء ، وحب المال أساس لفساد المجتمع ، ووسيلة للاستغلال الطبقي . ومن ثم تأكيد القرآن على الإنفاق واهتمامه بهذه الناحية ، أكد الحذر والاحتراس ، من إشباع الجنس ، وبين أخطار التطرف فيه ، فذكر المزالق وبين الحدود .

وفي سورة الإسراء آيات تستحق أن تعتبر ميثاق الأخلاق والتربية ، وتبين مفهوم التربية القرآنية ، فقد شملت جميع نواحي الحياة الهامة ، وأشارت إلى سائر مواضع الضعف في الطبيعة وبين حلولها .

وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِنَّمَا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْعَنَ عِنْدَكُمُ الْكَبِيرُ

أَحَدُهُمَا أَوْ كَلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهِهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الْذُلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأُوَالِّينَ غَفُورًا وَاتَّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِنُينَ وَأَبْنَ الْسَّبِيلِ وَلَا تُبَدِّرْ تَبَدِّرَا إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيَطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا وَإِمَامًا تُعْرَضُنَ عَنْهُمْ أَتَعْنَاءَ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا وَلَا تَجْعَلْ يَدِكَ مَعْلُولَةً إِلَى عُقْلَكَ وَلَا تُبَسْطِلَهَا كُلُّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَسْطُطُ الْرِّزْقَ لَمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا وَلَا تَقْتُلُوا أُولَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنْ قَتَلُوكُمْ كَانَ خَطِيبًا كَبِيرًا وَلَا تَقْرِبُوا الْرَّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ حَعَلْنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْتَّبِيعِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحَسَنُ حَتَّى يَلْيُغَ أَشْدَهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا وَأَوْفُوا الْكِيلَ إِذَا كَلَثُمْ وَزُرُوا بِالْقَسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ ثَأْوِيلًا وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ الْسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحَا إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذِكْرٍ كَانَ سَيِّئَهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (الإسراء : ٢٣ - ٢٤).

وتتلخص التربية القرآنية في ضوء هذه الآيات في الأمور الآتية :

١. العبادة لله وحده .
٢. الإحسان إلى الوالدين ورعايتها .
٣. الشعور بأن الله يعلم ما تكون الصدور ، بذلك سد منافذ الشر في السر ، ووضع الإسلام بهذا الشعور الذاتي ، حارساً يراقب الإنسان في السر والعلن.
٤. الإحسان إلى ذوي القربي ، والمساكين والغرياء ، وبذلك سد الإسلام منافذ الاستغلال من كل نوع .
٥. الاقتصاد في الحياة ، والدعوة إلى عدم التبذير ، وعدم الإمساك كلياً ، والشعور أثناء الكسب أنه من الله ، ومقدر منه ، ولذلك يجب كسبه وإنفاقه في السبل المشروعة .
٦. الاهتمام بتربية الأولاد ، لإنشاء مجتمع نزيه يتطابق مع القيم الإسلامية .
٧. التحذير من التطرف في إشباع الجنس . ( وَلَا تَقْرِبُوا الْرَّزْقَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً )

- وَسَاءَ سِيَلًا) لسد منافذ الانحلال الخلقي والاجتماعي .
٨. التحذير من قتل النفس بغير حق ، لتأمين الأمن الجماعي ، وصيانة حياة الإنسان ، وإنشاء مجتمع هادئ مكب على العمل وهادف .
  ٩. الحيطة في التصرف في مال اليتيم .
  ١٠. إيفاء العهد .
  ١١. إيفاء الكيل .
  ١٢. عدم التجسس في الحياة العامة ومنع الناس من الإرجاف .
  ١٣. التحذير من التكبر ، والغطرسة ، والتعالي على الناس .  
كُل ذلك كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا .

وأي ميثاق لتربية الإنسان في الدول المتحضرة ، وأي نظام تعليم وتربيه يستطيع أن يضاهي هذا الميثاق ، والتربية التي تبدأ بتقويم فكر الإنسان وتقويم سلوكه ، وعواطفه وتنمية صلاحياته ، وتوجيه حياته الفردية والاجتماعية ، وتحويل مساعيه إلى أهداف أ Nigel وأسمى من المصلحة الذاتية الضيقة ورفعه من الخنوع إلى تصور أرفع للحياة .

وكل من يدقق النظر في هذه الآيات القرآنية التي تتضمن الخطوط الرئيسية للتوجيه ، والتربية ، علاوة على الآيات الكثيرة التي في مواضع مختلفة في تعليم أدب الحياة و التربية خلق الإنسان ، وتكوين الإنسان المؤمن خليفة الله تعالى على الأرض ، والشاهد على خلق الله تعالى ، والذي خلق له هذا الكون ، فإن لم تعمه العصبية ، ولم تكن على عينيه غشاوة ، لشهد بأن التربية الإسلامية هي العلاج الوحيد لفساد كل مجتمع ، وخاصة فساد المجتمع الحاضر الذي استشرى فيه الفساد في كل مجال من مجالات الحياة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ، وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها وهي تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان خلقه القرآن" ، وقال الله تعالى في القرآن الكريم : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْنَةً حَسَنَةً لِمَنْ كَانَ يَرْجُوَ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب : ٢١) ، وقال : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُخَيِّنُكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (آل عمران : ٣١) .

## التربية على الشورى في الإسلام

بِقَلْمِ الْأَسْتَاذِ صَفَاءِ الدِّينِ مُحَمَّدِ أَحْمَدَ \*

إذا كان المسلمون في نظر الإسلام يمثلون وحدة واحدة لا تحاسد ولا تبغض ولا تنافر بينها ، وهم أدلة لبعضهم أعزاء على غيرهم ، فان أمر الشورى لا بد أن يكون نظام هذا المجتمع الذي يتساوى أفراده ، ويتفاوتون بمدى قريهم وبعدهم من خالقهم ، فالله سبحانه وتعالى يقول : (وَالَّذِينَ أَسْتَحَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقْامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) (الشورى : ٢٨) ، والشورى هنا ليست وقفاً على جانب من الحياة دون آخر ، بل في شأن الحياة كلها ، ما لم يكن الأمر منصوصاً عليه في الكتاب أو السنة ، وليس من مسائل الحياة المطروحة للاجتهاد والبحث . وتربية الأمة على التشاور فيما بينها يحقق لها الكرامة التي ميزها الله بها عن سائر خلقه ، فالشورى مبدأ من المبادئ التي تبني عليها الحياة ، وهي في حياة المسلمين ألزم ، ولذلك لم يحدد الإسلام لها طريقة واحدة ، بل قرر المبدأ وترك طريقة التنفيذ لظروف البشر وتطورات الحياة ووسائلها .

وواجب المسلمين ألا يفرطوا في هذا الحق الذي جاءهم من عند الله ، وأن يربوا أبناءهم على هذا المبدأ الذي ينظم حياتهم في أسرهم ، ومؤسساتهم الاجتماعية والتربية والسياسية ، وأن يتعلموا تبعاً لذلك تحمل النتائج التي تتمخض عن ممارسة الشورى وتطبيقاتها في جوانب الحياة المختلفة ، وليس لقيادة المسلمين مما كان الأمر أن تلقي من حياة المسلمين أمراً استحسنه الله لهم وأمرهم به ، لأن الله تعالى يعلم أن الشورى من أهم المبادئ التي تربى بها الأمم وتشاوا عليها الأجيال ، وكيف تربى الأمة المسلمة على قيادة البشرية وهي في نفسها لم ترب على المسؤولية .

والشورى ولم تمارسها في حياتها ؟ وكيف تستفيد الأمة المسلمة

\* كاتب وباحث إسلامي - مصر .

من تجاربها إذا لم تعمل وتتحمل نتائج الشورى وأخطاء الممارسة ، وتبين جوانب الصواب والخطأ والنجاج والإخفاق من خلال الممارسة الحرة الوعية لمبدأ الشورى .

### نماذج من الشورى والتربية عليها :

(١) عندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بخروج قريش ليمنعوا عيرهم ، استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقام أبو بكر وأحسن وقام عمر وأحسن وقام المقداد بن عمرو وقال ما اشتهر عنه من قول كان مدعاه لأن يدعوه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظل الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : "أشيروا علي أيها الناس" ( سيرة ابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٥٩ ) ، وقد أراد بذلك الأنصار فلم يكن في عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحموه خارج بلادهم . فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال ما سرله رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقال لهم : "سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لـكـأـنـيـ الآـنـ انـظـرـ إـلـىـ مـصـارـ القـوـمـ" ( سيرة ابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٥٩ ) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن الأنصار يحبون ما يحب ، ويأتموه بأمره ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يعلمهم أول درس في الشورى ، درس يبين لهم فيه مدى احترام هذا الدين لكرامة الإنسان ، وفكرة ورأيه .

(٢) وقد يكون المستشار صاحب اختصاص ودراسة ومعرفة بأمر يمكن قبول الاستشارة فيه ، فقد ذكر ابن هشام أن الحباب بن المنذر قال : يا رسول الله : أرأيت هذا المنزل ؟ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة ؟ قال : "بل هو الرأي وال الحرب والمكيدة" ، قال يا رسول الله ! فإن هذا ليس بمنزل ، فإنهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فتنزله ، ثم نعور ما وراءه من القلب - أي نفس غيرها بقذف الأحجار والتراب ثم نبني عليه حوضاً فملئه ماء ، ثم نقاتل القوم فتشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لقد أشرت بالرأي" ( سيرة ابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٦٠ ) .

فهذا الصحابي كان عالماً بحدود الشورى ، وأن الأمر إن كان من عند الله فلا مجال فيه للرأي والمشورة ، أما إذا كان أمراً من أمور الحرب أو السياسة وما يتعلق بالاستراتيجيات فإن مجال الرأي فيه لأصحاب الاختصاص والخبرة والتجارب ، كما أن صاحب الرأي كان جندياً من جنود المسلمين ، خاطب قائد بثقة واطمئنان ، لأنه قد ربي على هذا .

بالإضافة إلى أن مثل هذه المواقف هي التي تربى الجنود على عزة النفس والكرامة ، والاعتزاز بالشخصية ، والإحساس بالكرامة الإنسانية ، لأنه فرد له رأيه الذي يسمع ، وخبرته التي تقدر ، ومكانته مهما كانت رتبته .

(٢) ذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) (الجزء الثالث ، ص : ٢٩٦ و ٢٩٧) أن الرسول صلى الله عليه وسلم استشار في الأسرى يوم بدر بعد أن أمكنهم الله منهم ، فكان رأي أبي بكر أن يغفو الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم ، ويقبل منهم الفداء ، وحجته في رأيه أن في الفداء قوة للمسلمين على الكفار ، وإن الأمل في الله كبير أن يهديهم وأن يتوب عليهم ، فيكون كل منهم سندًا للمسمين ، زيادة على أنهم القوم والأهل ، وكان رأي عمر أن يضرب أعناقهم ، وأن يمكن كل واحد من الصحابة من أقرب الناس إليه في الأسرى ليضرب عنقه ، وحجته في رأيه أن هؤلاء يمثلون صناديد قريش وسادتها وقادتها ، فيكون للمسلمين المهابة في قلوب الأعداء ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي أبي بكر ، فأنزل الله عز وجل : (مَا كَانَ لَنِبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخَنَ فِي الْأَرْضِ ثُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنْ أَنَّ اللَّهَ سَبَقَ لَمَسَكُمْ فِيمَا أَخْذَتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (الأనفال : ٦٧ - ٦٨) .

وقد تعلم المسلمون من نتائج هذه الاستشارة دروساً نافعة متعددة :  
أولاً : أن تقتيل الأسرى في هذه المرحلة فيه إضعاف لقوة المشركين ، وكسر لشوكتهم ، وإذلال لكبرائهم ، فكان الإثخان مطلوباً .

ثانياً : أن يثبت فدى نفوس المسلمين أن الآصرة التي تقوم عليها

العلاقات هي آصرة العقيدة ، وليست القرىء أو النسب ، وهذا ما أراده عمر رضي الله عنه .

ثالثاً : أن الأمل في دخول نور الإيمان في قلوب المشركين خير ، وإن استعطاف القلوب بالعفو والمغفرة خيراً أيضاً ، وهذا ما قصده أبو بكر رضي الله عنه .

رابعاً : أن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي يوحى إليه لم يكن ينفرد بقرار الحرب أو السلام أو ما يتعلق بهما من أسارى وغير ذلك ، فإذا كان الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يمارس الشورى وهو الموحى إليه ، فكيف بمن دونه من قادة المسلمين ؟

خامساً : إن حداثة الدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن سبباً في حجب الجماعة المسلمة عن أن تمارس حقها في الشورى ، ورأيها في السياسة العليا للدولة ، حتى تتعلم هذه الجماعة من إيجابيات الشورى وسلبياتها التي تعدل مسارها وتوجه خطها .

(٤) في شوال من السنة الثالثة من الهجرة سار أبو سفيان بن حرب في جمع من قريش ونزل في أحد ، فرأى جماعة من المسلمين لم يشهدوا بدراً أن الله قد حق أمنيتهم في قتال العدو فأشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا للاقاء العدو . وكان رأي الرسول عليه الصلاة والسلام وبعض الصحابة أن يبقوا بالمدينة ويقاتلوا داخلها ، غير أن الأكثريَّة كان رأيها الخروج للاقاء الأعداء خارج المدينة ، وكانت دوافعهم في ذلك متعددة منها :

أ. أن يعرض من لم يشهد يوم بدر ما فاته من شرف المشاركة يوم بدر ، وفي أول معارك الإسلام ، وقمة انتصار الحق على الباطل .

ب. لا يرى المشركون فيهِم جيناً وضعفاً .

ت. تمنى البعض أن يستشهدوا في سبيل الله يومئذ ولا يفروا من الزحف .  
استجابة الرسول صلى الله عليه وسلم لرأي الأكثريَّة واستعد للقتال ووعظهم بالجهاد ، ثم دعاهم إلى الخروج للاقاء المشركين ، ثم عنْ لذوي الرأي أن يرجعوا لرأي رسول الله عليه الصلاة والسلام بالبقاء في المدينة ، فيقول لهم : " ما ينبغي لنبي إذا أخذ لأمة الحرب وأذن بالخروج

إلى العدو أن يرجع حتى يقاتل ، وقد دعوتم إلى هذا الحديث فأبأيتم إلا الخروج ، فعليكم بقوى الله والصبر عند البأس إذا لقيتم العدو ، وانظروا ماذا أمركم الله به فافعلوا " (ابن كثير ، البداية والنهاية ، الجزء الرابع ، ص : ١٢ و ١٣) .

وسارت أحداث المعركة فيما قدر الله لها أن تسير لتعلم الأمة المسلمة في النهاية نتائج إيجابية من ممارستها للشورى ، وما يترتب عليها من مسؤوليات ونتائج أهمها :

أ. تأكيد مبدأ الشورى في حياة الأمة المسلمة مهما كانت نتائجها ، فقد جاءت الآيات لتأكد هذا المعنى : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران : ١٥٩) .

ب. إن الأمة لا تربى إلا بالشورى خاصة إذا كانت أمة قائدةً موجهةً كالأمة المسلمة .

ت. إن أخطاء الممارسة والتطبيق لا تبيح لأحد سلب هذا الحق الذي وهبه الله للأمة المسلمة ، بل ولو كانت نتائج الممارسة اختلال الصفة الإسلامية .

ث. أن الأمة الإسلامية أمة راشدة مهدية ، قادرة على تحمل مسؤولياتها ، وجدية بمعالجة أخطائها ، الأمر الذي لا يجوز الوصاية عليها لأنها ليست قاصرة .

ج. أن المكاسب المادية والانتصارات في ميدان القتال ، لا تعادل المكاسب المعنوية والتربية الذاتية التي اكتسبها المسلمون من ممارستهم للشورى ، وتحملهم لconsequences آرائهم بالإضافة إلى الخبرات العسكرية التي تعلموها في مجال الطاعة والامتثال وتنفيذ الخطة الموضوعة للمعركة .

ح. لم يكن وجود الرسول صلى الله عليه وسلم ومعه إرهامات عن المعركة ونتائجها من خلال رؤيته التي رواها لأصحابه - لم يكن ذلك مانعاً من إنفاذ أمر الشورى ، أو إلغاء ما رأى الأغلبية : "فلو كان وجود القيادة الراشدة في الأمة يكفي ويسد مسد مزاولة الشورى في أخطر الشؤون لكان وجود محمد صلى الله عليه وسلم ومعه الوحي

من الله سبحانه وتعالى كافياً لحرمان الجماعة المسلمة يومها من حق الشورى ، وبخاصة على ضوء النتائج المريضة التي صاحبتها في ظل الملابس الخطيرة لنشأة الأمة المسلمة .

ولكن وجود محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الوحي الإلهي ، ووقوع تلك الأحداث ، ووجود تلك الملابس ، لم يلغ هذا الحق ، لأن الله سبحانه وتعالى يعلم أن لا بد من مزاولته في أخطر الشؤون ، ومهما تكن النتائج ومهما تكون الخسائر ، ومهما يكن انقسام الصف ، ومهما تكون التضحيات المريضة ، ومهما تكون الأخطار المحيطة .. لأن هذه كلها جزئيات لا تقوم أمام إنشاء الأمة الراشدة المدرية بالفعل على الحياة المدركة لتأثيرات الرأي والعمل ، الواعية لنتائج الرأي والعمل .

ومن هنا جاء هذا الأمر الإلهي في هذا الوقت بالذات : (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ) (آل عمران : ١٥٩) ، ليقرر مبدأ في مواجهة أخطر الأخطار التي صاحبت استعماله ، وليثبت هذا القرار في حياة الأمة المسلمة أيًّا كانت الأخطار التي تقع أثناء التطبيق ، وليسقط الحجة الواهية التي تثار لإبطال هذا المبدأ في حياة الأمة المسلمة ، كلما نشأ عن استعماله بعض العواقب التي تبدو سيئة ، ولو كان هو انقسام الصف كما وقع في (أحد) والعدو على الأبواب ، لأن وجود الأمة الراشدة مرهون بهذا المبدأ ، ووجود الأمة الراشدة أكبر من كل خسارة أخرى في الطريق " . (في ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص : ٥٠٢) .

**الهوامش :**

١. السيرة النبوية لابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٥٩ .
٢. السيرة النبوية لابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٥٩ .
٣. السيرة النبوية لابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٦٠ .
٤. السيرة النبوية لابن هشام ، الجزء الثاني ، ص : ٢٦٠ .
٥. البداية والنهاية لابن كثير ، الجزء الثالث ، ص : ٢٩٦ - ٢٩٧ .
٦. البداية والنهاية لابن كثير ، الجزء الرابع ، ص : ١٢ - ١٣ .
٧. في ظلال القرآن ، المجلد الأول ، ص : ٥٠٢ .

## الزيادة على النص : قواعدها وضوابطها

(الحلقة الأولى)

إعداد : د . محمد علي شفيق الندوي \*

### مقدمة :

الحمد لله الذي أكرمنا بأشرف كتاب للحاضر والباد ، فنعم الزاد ، وأمدنا بسنة نبيه المتواترة والآحاد ، فنعم المداد . والصلوة والسلام على الرحمة المهدأة ، حبيبنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، إلى يوم نلقاء .

وبعد ! فإن قضية فهم النص وتفسيره ت تعد من أبرز المشاكل المعرفية والمنهجية التي أثارتها كثير من الثقافات والحضارات الإنسانية ، وما زالت تثيرها وتثيرها ، وتغذيها الروايد الثقافية من جهة ، والتطور الكبير الذي مس اللغويات المعاصرة بشكل عام ، ومنهاج تحليل الخطاب بشكل خاص ، من جهة أخرى .

ويزداد الأمر أهمية وخطورة إذا كان النص المراد فهمه سماوياً رياضياً ، محفوظاً مصوناً ؛ سواء أكان وحياً متلوأ أم غير متلو ؛ إذ إن هذا النص له قدسيته ومكانته ، وله سلطته وشرعيته . وهو المصدر الوحيد للبنية الإيمانية والفكرية والثقافية والعملية للمسلمين وللدين الإسلامي الخالد .

إن مرجعية النص في التعرف على المبادئ والأحكام والقيم والتعاليم الإسلامية ؛ دعت إلى خدمة النص ؛ سواء على مستوى التوثيق والضبط أو على مستوى التفسير والفهم .

ولئن اشتراك في خدمة النص كثير من النظم والمعارف التي شكلت المحاور المعرفية الكبرى في التراث العلمي ؛ فإن ما قدمه علم أصول الفقه فاق ما قدمته النظم المعرفية الأخرى ؛ حيث قام بوضع نظرية متكاملة في تفسير النص وفهمه وقراءته .

\* أستاذ أصول الفقه المساعد ، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة القصيم .

تستمد هذه النظرية بنيتها من مجموع القواعد والمسائل الأصولية ، التي تحكم المنهج الأصولي الدقيق في قراءة النص ، والذي يحميه من أي قراءة تحريفية للنص .

وإذا كانت ضوابط تفسير النص اتفق العلماء على معظمها وأسسهها ؛ فإنه من الطبيعي أن يقع خلاف في جوانب يسيرة منها ما دام يشارك النص والاجتهاد في وضع هذه القواعد والضوابط .

ومن هذا النزء اليسير الذي تنازع فيه الآراء ، ووقع فيه خلاف بين الأئمة الأصوليين والفقهاء ؛ مسألة "الزيادة على النص" ، وهي موضوع بحثنا هذا .

#### **أهداف البحث ومشكلته :**

ومن هنا جاء هذا البحث ليزيل الستار عن جوانب عديدة حول قضية "الزيادة على النص" في الفقه الإسلامي ، وليحاول صياغة ضوابط الحنفية للتعامل معها .

إن قضية "الزيادة على النص" ما زالت ملتبسة على الكثير؛ فكان من أهداف البحث إماتة اللثام عنها ، ومعالجة ما اشتهر في الأوساط العلمية ، ودعمته الكتابات المجملة في كتب كثير من الأصوليين ؛ أن الحنفية ردوا كثيراً من أخبار الأحاداد ، بناءً على قاعدة (الزيادة على النص نسخ) .

فالبحث يحاول كشف مناهج وآليات تعامل الحنفية مع هذه القضية ، ومن ثم صياغة تلك المنهج وتلك البنية التعاملية في قواعد وضوابط محددة ، تجمع الجوانب المترفرفة للرؤى الفقهية والأصولية الحنفية .

#### **أهمية البحث :**

من خلال ضبط شتات الموضوع ، ووضع شتات ضوابطه ، يتبيّن مدى صحة أو خطأ ما اشتهر حول رد أخبار الأحاداد إذا زادت على الكتاب<sup>١</sup> ؛ ليكشف البحث أن الحنفية قبلوا النص الأحادي حتى في المسائل المبنية على هذه القاعدة ، ول البعض النقاط على الحروف مبيناً أن

<sup>١</sup> كما ادعى ذلك بعض الأصوليين ؛ كالزركشي ، في البحر المحيط (٢٢٠ / ٢) ، وكالمعاصرين من أصحاب الأبحاث الآتية .

الإشكال ليس بين السنة والكتاب ، وإنما ينحصر في حالة معينة ، هي عبارة عن صورة من صور التعارض بين القطعي والظني .

ومن هنا تطلق هذه المشاركة لحل إشكالاً آخر حول خبر الواحد وأهميته لدى أئمة الإسلام عامة ، والإمام أبي حنيفة وأهل الرأي والفقه خاصة . وإن السلف من أهل الفقه والحديث معاً لم يهملوا خبر الواحد الصحيح وإن زاد على كتاب الله تعالى ، إلا بالقدر الذي يستلزم رفع القطعي بالظني من وجهاً نظر القائلين بأن الزيادة نسخ .

كما تتضح أهمية هذا البحث من خلال المسائل الفقهية الكثيرة التي تتفرع عن هذه المسألة الأصولية .

أضاف إلى ذلك أن ثمة فروعاً ومسائل ادعى فيها أنها خرمت القاعدة لدى الحنفية ؛ وأنهم لم يطردوها في تعقيدهم المتعلق بالزيادة ، من خلال هذه الضوابط تتبين تلك الشروط والقيود التي أغفلها المعترض .

**خطة البحث :** يشتمل البحث على تمهيد ، وفصلين :  
المقدمة ، وفيها : أهمية الموضوع ، وأهدافه ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث .

والتمهيد فيه مطالب : الأول في مفهوم القاعدة ، والثاني في مفهوم الضابط ، والثالث في أقسام الخبر .

**الفصل الأول :** الزيادة على النص والقواعد المؤثرة فيها . وفيه مبحثان :

المبحث الأول في الزيادة على النص : المراد بها ، وأنواعها ، والخلاف فيها .

**المبحث الثاني :** قواعد مؤثرة في تكوين الرؤية الحنفية حول قضية الزيادة على النص . وفيه سبعة مطالب ، كل قاعدة في مطلب .

**الفصل الثاني :** الضوابط الحاكمة لقضية الزيادة على النص ، وفيه عشرة مباحث ، كل ضابط في مبحث .

وامتد البحث على أكثر من ١٠٠ صفحة ، وأقدم ملخصه في ثلث جمهه الحقيقي بإذن الله تعالى .

**الفصل الأول :**

الزيادة على النص والقواعد المؤثرة فيها :

**المبحث الأول :** الزيادة على النص : المراد بها ، وأنواعها ، والظائف فيها .

**المطلب الأول : المراد بالزيادة على النص :**  
 اشتهرت هذه القاعدة بصفة "الزيادة على النص" (نسخ أم لا) <sup>١</sup>، وعبر عنها بعضهم بلفظ: "رفع خبر الآحاد لمدلول النص" <sup>٢</sup>.  
 والزيادة في اللغة : النمو ، وهي خلاف النقصان وتزيد السعر : غلا <sup>٣</sup>.

والنص في اللغة له معان ، أشهرها : الرفع . ومنه المنصة ؛ لارتفاعها ، ونصت الظبية جيدها ، أي رفعته . ومنه نصت الحديث إلى فلان : أي رفعته <sup>٤</sup>.

وفي الاصطلاح يأتي لمعان ، منها : لفظ الكتاب والسنة ؛ نصاً كان أو ظاهراً <sup>٥</sup>.

وأقرب منه قولهم : "نص القرآن والسنة" : ما دل ظاهر لفظه ما عليه من الأحكام <sup>٦</sup>.

وهذا المعنى هو مراد الأصوليين والحنفية بـ "النص" في هذه القاعدة ؛ كما يظهر ذلك من كلامهم في هذه القضية تصيلاً وتطبيقاً ؛ إلا أنه يتقييد بكونه متواتراً ولو حكماً ، فيشمل ظاهر الكتاب والسنة

<sup>١</sup> ينظر : البرهان للجويني (١٥٠/١) ، أصول السرخسي (١٦٤/١) ، كشف الأسرار للنسفي (٢٠٦/١) ، روضة الناظر (٥٠٧/١) ، شرح تقيق الفصول (ص : ٣٦) ، مختصر الروضة مع شرحه للطوفيق (٥٥٣/١) ، كشف الأسرار عن أصول البزدوي (٧٣/١) ، جمع الجوامع بشرح المحلي (٢٠٨/١) ، البحر المحيط (٣٧٥/١) .  
<sup>٢</sup> تقريرات الشريبي على المحلي (٩١/٢) .  
<sup>٣</sup> الصاحب ، للجوهري (٤٨٢/٢) ، وأيضاً : لسان العرب (١٩٨/٢) ، تاج العروس (١٥٥/٨) .

<sup>٤</sup> ينظر : العين للفراهيدي (٨٦/٧) ، تهذيب اللغة (٨٢/١٢) ، أساس البلاغة (٢٧٥/٢) ، لسان العرب (٩٧/٧) .

<sup>٥</sup> ينظر : الإحكام لابن حزم (٤٢/١) ، تيسير التحرير (١٣٧/١) . ومن معاني النص اصطلاحاً : نوع من أنواع الدلالة الواضحة ، يقابل الظاهر . وقد يطلق على الظاهر . ينظر : البرهان (١٥٠/١) ، أصول السرخسي (١٦٤/١) ، روضة الناظر (٥٠٧/١) ، شرح تقيق الفصول (ص : ٣٦) ، مختصر الروضة مع شرحه للطوفيق (٥٥٣/١) ، كشف الأسرار عن أصول البزدوي (٧٣/١) ، جمع الجوامع بشرح الجلال المحلي (٢٠٨/١) ، البحر المحيط في أصول الفقه (٣٧٥/١) ؛ التحرير مع التقرير والتحبير (١٤٦/١) .

<sup>٦</sup> تاج العروس (١٨٠/١٨) ، وانظر : كشف الأسرار عن أصول البزدوي (١٠٦/١) .

المتوترة والمشهورة ، دون خبر الواحد ؛ لأن ذكر النص في مقابل خبر الواحد يقتصر على ذلك .

### **التعريف الأصطلاحي لقاعدة "الزيادة على النص" :**

قام عدد من الباحثين بتعريفها ؛ لكن لا يخلو تعريفهم من إشكال ، من تلك التعريفات :

١. "إفادة خبر الآحاد حكمًا زائداً على مقتضى النص المزد علية ، في حين لا دلالة ظاهرة على هذا الحكم - المزاد به - في ظاهر النص المزد علية ، وليس فيه ما ينفيه" <sup>١</sup> .

- يلاحظ عليه أن فيه دوراً ، لاشتماله على الزيادة ، وتتوقف معرفتها على معرفة المحدود .

- ثم هو تعريف من وجهة نظر الجمهور ، والقاعدة إنما يقصد بها قائلها خلاف ذلك .

٢. "خلو خطاب عن حكم ثبت بدليل آخر" <sup>٢</sup> .

- فيه أنه تعريف للزيادة بالخلو ، كما أنه غير مانع ؛ لكونه يعم ما خرج عن النزاع ؛ فيشمل صور الزيادة الأخرى ، ثم هو تعريف من وجهة نظر الجمهور ؛ بأنه لا تناقض بين الحكمين .

٣. "أن يوجد نص شرعي يفيد حكمًا ، ثم يأتي نص آخر يزيد على الأول زيادة لم يتضمنها" <sup>٣</sup> .

- فيه ما في التعريف الأول من الملاحظات .

ويمكن أن أصوغ تعريفاً لعله يكون جامعاً ، فأقول :

"الزيادة على النص" هي : أن يرد دليلاً رافع لحكم اقتضاه ظاهر الكتاب أو السنة المعروفة .

### **توضيح التعريف :**

قولي : "دليل" : يشمل المتصوص وغيره كالقياس ، فالزيادة كما تكون بالكتاب والسنة ، تكون بالقياس . إلا أن بحثاً لما كان حول الزيادة بالنص لم نتطرق للقياس .

<sup>١</sup> عرف به الدكتور سالم الثقفي في بحثه : "الزيادة على النص" ، ص : ٢٤٨ .

<sup>٢</sup> عرف به الباحث مازن هنية ، في بحثه : "الزيادة على النص وأثرها في الفقه الإسلامي" ، ص : ٦٧ .

<sup>٣</sup> عرف به الدكتور عمر بن عبد العزيز ، في بحثه : "الزيادة على النص" ، ص : ٢٦ .

وقولي : " رافع " : إشارة إلى أن الزيادة تنا في حكم المزد علىه ،  
وليس زبادة على المسكون عنه <sup>١</sup> .

وقولي : " لحكم " : المراد بالحكم الذي اقتضاه النص هنا حرمة  
الترك ، أو الإجزاء . بيان ذلك أن الزيادة عند الحنفية نوعان كما يأتي  
مفصلاً : زبادة شرط ، وهي ترفع إجزاء الأصل . مثل : زبادة شرط  
الطهارة في الطواف ، فقبل الزيادة كان الطواف مجرئاً بدونها ، وبعدها  
لم يبق مجرئاً . فالزيادة رفعت حكمها شرعاً ، وهو الإجزاء والصحة .  
والثاني : زبادة جزء ، وهي أقسام :

١. زبادة جزء متصل بالمزد عليه : كزيادة ركعتين في الظهر ؛ فهذا لا  
يشكال في كونه نسخاً ، لأنه يرفع إجزاء ركعتين ظهراً ، ويشترط  
أربعاً : كما ثبت ذلك في الصلوات الرباعية ؛ فعن عائشة ، قالت :  
( فرض الله الصلاة حين فرضها ، ركعتين ركعتين ، في الحضر  
والسفر ، فأقرت صلاة السفر ، وزيد في صلاة الحضر ) <sup>٢</sup> .
  ٢. زبادة جزء منفصل عن المزد عليه : كزيادة التغريب في حد الزنا ،  
بحيث يصبح الحد مركباً منهما . فالزيادة هنا ترفع إجزاء ( ماء جلدة )  
( النور : ٢ ) ؛ فلو جلد الزاني ولم يغرب ، لا تترتب أحکام الحد .
  ٣. زبادة بالتخير في اثنين بعد ما كان الواجب واحداً ؛ مثل : فرضية  
مسح الرأس ، ثم القول بجواز المسح على العمامة . فالزيادة هنا ترفع  
حرمة ترك ذلك الواجب الواحد .
  ٤. زبادة بالتخير في ثلاثة بعد ما كان الواجب أحد اثنين ؛ مثل القضاء  
بشاهدين ، أو بشاهدة رجل وامرأتين عند عدمهما ، ثم القول بشاهد  
ويمين . فالزيادة هنا ترفع حرمة ترك أحد هذين الاثنين .  
فحمرة ترك الواجب الواحد وحرمة ترك أحد اثنين ، وإجزاء  
الأصل ، كلها أحکام شرعية .
- وقولي : اقتضاه ظاهر الكتاب .. : بين ذلك أن ظاهر الكتاب

<sup>١</sup> انظر : البرهان للجويني ( ٢٥٤/٢ ) ؛ العدة ( ٨١٤/٣ ) ؛ البحر المحيط ( ٢١٩/٢ ) ؛  
فواتح الرحموت ( ٩٢/٢ ) .

<sup>٢</sup> أخرجه البخاري في الصلاة ، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء ، ( ٧٩/١ ) برقم ( ٢٥٠ ) . وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها ، باب صلاة المسافرين وقصرها ، ( ٤٧٨/١ ) برقم ( ٦٨٥ ) بلفظ : ( فأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى ) .

اقتضى ذلك الحكم ، وليس ذلك مما صرخ به النص ، ولا مما سكت عنه النص سكوتاً مطلقاً .

والظاهر ما ظهر المراد منه ، وهو ما يعرف المراد منه بنفس السماع من غير تأمل . والمراد بالنص ما يزداد وضوحاً بقرينة تقترب باللفظ من المتكلم . وحكم كل منها لزوم وجبه قطعاً ويقيناً ، عاماً كان أو خاصاً ؛ إلا أن النص ازداد وضوحاً ، وبالتالي يترجح عليه عند التعارض <sup>١</sup> . وحيث كان اللفظ ظاهر المعنى فهو مبين غير مجمل ، ولا يحتاج إلى بيان ؛ فلا يكون ما ينافيء بياناً ، بل نسخاً <sup>٢</sup> .

وقولي : الكتاب والسنة : هما المعبّر عنهم بالنص . ولم أقل "دليل" لأن المزيد عليه لا يكون إلا النص ، ولا يكون قياساً ولا إجماعاً ؛ لأنه لا تعارض بين النص والقياس ؛ إذ النص عليه المعمول . وأما الإجماع فلا ينسخ ولا ينسخ به .

وبما أن الزيادة على النص ، رفع لحكم شرعي ، ذكر الحنفية القاعدة بصيغة : الزيادة على النص نسخ . أي فلا تقبل الزيادة إلا إذا توافرت فيها شروط النسخ . ومن شروط النسخ أن لا يكون الناسخ أضعف من المنسوخ . كما يأتي .

ففي الأمثلة السابقة إن وردت الزيادة ؛ كالتجزيف ، والتخيير ، والطهارة ، بنص قاطع متأخر عن الأول قبل الزيادة ، وإن وردت بنص آحادي أو بقياس لا تقبل هذه الزيادة <sup>٣</sup> .

والمنسوخ هنا وصف ؛ لأن الزيادة نسخ الوصف لا نسخ الأصل <sup>٤</sup> .  
ويزيد للتوضيح والتمثيل وبيان التقاضي الموجب للنسخ ؛ يقول الجصاص (ت ٣٧٠هـ) : كل حكمين لا يصح مجئي التعبد بهما في حال واحدة لشخص واحد ، فإن الثاني منها يكون ناسخاً للأول إذا ورد بعد

<sup>١</sup> ينظر : تقويم الأدلة (١١٦) ؛ أصول السرخسي (١٦٣/١) ؛ المنار مع كشف الأسرار (٢٢/١ ، ٢٠٥) .

<sup>٢</sup> انظر : القاعدة الرابعة ، وكذلك الثالثة ، الآتيتين في البحث الأول .

<sup>٣</sup> الفصول في الأصول للجصاص (٤٤٣/١) وما بعدها ، البرهان في الأصول (٢٥٤/٢) ؛ البحر المحيط في الأصول (٢١٩/٣) ؛ تخريج الفروع على الأصول (ص : ٥٠) .

<sup>٤</sup> إذ المنسوخ أربعة أنواع : التلاوة والحكم ، والتلاوة دونه ، والحكم دونها ، ونسخ وصفه في الحكم . أصول البزدوي (٥٠٦) .

استقرار حكمه ، وذلك نحو قوله تعالى : (فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بِمَا نَهَمْ أَوْ أَغْرِضْ عَنْهُمْ) (المائدة : ٤٢) متى استقر هذا الحكم ، ثم قال تعالى : (وَأَنْ أَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ) (المائدة : ٤٩) أوجب ذلك نسخ التخيير المذكور فيه ؛ ألا ترى أنه لا يصح أن يقول : قد خيرتك بين الحكم والإعراض ، ومع ذلك فاحكم بينهم من غير اعراض ؛ لأن اللفظ يتناقض به ويستحيل معناه ، ومن أجل ذلك منعنا أن نعتبر بقوله صلى الله عليه وسلم : (لَا صَلَاةٌ إِلَّا بِفَاتِحةِ الْكِتَابِ) <sup>١</sup> على قوله تعالى : (فَاقْرَءُوا مَا يَسِّرَ مِنَ الْقُرْآنِ) (المزمول : ٢٠) ؛ لأن الآية اقتضت التخيير في المفروض من القراءة ، وتعيين فرض القراءة بفاتحة الكتاب يوجب إسقاط التخيير الذي في الآية ؛ فيكون ناسخاً له ، ولا يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد <sup>٢</sup> .

وقولي : "المعروف" : لإخراج خبر الواحد ، و "السنة المعروفة" أو "السنة الثابتة" اصطلاح خاص للحنفية يراد بها السنة المتواترة أو المشهورة (المستفيضة) أو المجمع عليها ؛ يقول الإمام أبو زيد (ت ٤٣٥هـ) : "خبر الواحد ينتقد من وجوه .. العرض على كتاب الله تعالى .. ثم على السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توافراً أو استفاضة أو إجماعاً ... " ولخصه البزدوي (ت ٤٨٢هـ) بقوله : ما خالف كتاب الله ، والثاني ما خالف السنة المعروفة .. <sup>٣</sup> ويقول الدبوسي مبيناً حكمها : "... السنة الثابتة بالتوافر أو الاستفاضة أو الإجماع .. بمنزلة الكتاب في إفادة العلم" <sup>٤</sup> .

**المطلب الثاني : أنواع الزيادة على النص .**

<sup>١</sup> أخرجه البخاري في صفة الصلاة ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات .  
<sup>٢</sup> ... (١٥١/١) برقم (٧٥٦) وأخرجه مسلم في الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٩٥/١) ، برقم (٣٩٤) .

<sup>٣</sup> الفصول في الأصول (٤٠٦/١) بتصريف .

<sup>٤</sup> تقويم الأدلة ، ص: ١٩٦ ، وراجع أيضاً : الفصول للجصاص (٤٤٩/١) .

<sup>٥</sup> أصول البزدوي ص: ٣٩٤ . وانظر أيضاً : كشف الأسرار (٩ - ٨/٢) ، فصول البدائع (٢٥٧/٢) ، واقرأ أيضاً قول أبي يوسف في الرد على سير الأوزاعي (٣١) ، وقول محمد في الحجة على أهل المدينة (٣٢٢/٤) .

<sup>٦</sup> تقويم الأدلة في أصول الفقه ، ص: ١٩٧ .

<sup>٧</sup> ننظر : المعتمد (٤٠٦/١) ، التلخيص في أصول الفقه (٥٠١/٢) ، المنخول ، ص: ٣٩٤ ، المستصفى ، ص: ٩٤ .

لتحرير محل النزاع وعرض الخلاف لا بد من بيان أنواع الزيادة على النص ، فالزيادة تقسم من حيث تعلقها بالمزيد عليه ، إلى قسمين : زيادة مستقلة عن النص (المزيد عليه) ، وزيادة متعلقة به .

أما الزيادة المستقلة ، فنوعان :

الأول : زيادة من غير جنس المزيد عليه ؛ كزيادة وجوب الصوم على الصلاة ، ووجوب الزكاة على الحج . فهذا ليس بنسخ للمزيد عليه بالإجماع ؛ لعدم التنافي ، ولعدم التغيير لحكم الأول .

الثاني : زيادة من جنس المزيد عليه ؛ كزيادة صلاة سادسة على الصلوات الخمس ، فهذا ليس بنسخ أيضاً بالاتفاق<sup>١</sup> ، إلا ما نسب إلى بعض أهل العراق من أنهم جعلوا زيادة صلاة على الصلوات الخمس نسخاً لقوله عز وجل : ( حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةَ الْوُسْطَى ) ( البقرة : ٢٢٨ ) ؛ لأنَّه يجعل ما كان وسطي غير وسطي .

وأرى أن هذا المحكي عنهم لا يخرم الإجماع لأمررين : الأول : أن هذا القول مبهم قائله ، وغير محرر قوله ؛ هل أراد حقيقة النسخ ، فلا تجب المحافظة على الصلاة الوسطى ، أم أراد زوال الوصف ، فلا خلاف . والثاني هو الأظهر .

وإن أراد الأول فالجواب أن وصف التوسط عقلي ، لا حكم شرعي ، وهو فرضية الموصوف بالتوسط ، والرائل هو وصف التوسط<sup>٢</sup> ، ولا يلزم من زواله بطلان فرضية الموصوف ، ولا دخل لكونها وسطي في الفرضية<sup>٣</sup> .

والثاني : أنه خلاف الإجماع باللزوم ؛ لأنَّه يلزم عنه أن تكون زيادة عبادة على آخر العبادات نسخاً ؛ لأنَّه يجعل العبادة الأخيرة غيرأخيرة ،

<sup>١</sup> حكى الاتفاق عدد من الأصوليين ؛ كالسمرقندى في الميزان ، ص : ٧٢٤ ، والأسمendi في بذل النظر ( ٣٥٤/٢ ) ، والرازي في المحسوب ( ٣٦٣/٣ ) ؛ والأمدي في الإحکام ( ١٧٠/٣ ) ، والطوفی في مختصر الروضة وشرحه ( ٢٩١/٢ ) ؛ والبخاري في كشف الأسرار ( ٢٨٤/٣ ) مع تقليهما لكلام بعض العراقيين ، ومع ذلك لم يعتبرا خلافهم .

<sup>٢</sup> إذا اعتبرنا معنى التوسط في العدد ، أما إذا قلنا أن الوسطي أريد بها الفاضلة ، فلا إشكال أصلاً .

<sup>٣</sup> انظر : التوضيح مع شرح التلويح ( ٣٦/٢ ) ؛ فواتح الرحموت ( ٩١/٢ ) .

وأن كانت الفروض عشرًا خرجت من أن تكون عشرًا .

وأما الزيادة المتعلقة بالزيادة عليه فهذا الذي وقع فيه الخلاف المعتبر ، وهي أنواع :

١. زيادة جزء (أي ما كانت الزيادة فيه جزءًا من المزيـد عليه) : كزيادة ركعة على ركعتي الفجر .

٢. زيادة شرط (أي ما كانت الزيادة فيه شرطًا لصحة المزيـد عليه) : كاشتراط الإيمان في الرقبة في قوله تعالى : (فَتَحْرِيرُ رَقْبَةٍ) (المجادلة : ٣) في كفارة الظهار واليمين ، واشتراط النية في الطهارة ، واشتراط الطهارة في الطواف .

٣. زيادة ترفع مفهوم المخالفة للمزيـد عليه : كما لو قال : (في المعلومة زكاة ) بعد قوله : (في السائمة زكاة) . وهذه الثلاثة لا يقول بها الحنفية .

هذه الثلاثة يذكرها الأصوليون ، وبالتأمل في كلامهم تظهر أقسام أخرى باعتبارات متعددة ؛ فيمكن تقسيم الزيادة باعتبار المقارنة وعدها إلى زيادة مقارنة وزيادة متأخرة .

كما يمكن تقسيم زيادة جزء إلى أربعة :

١. زيادة جزء متصل بالمزيـد عليه ؛ كزيادة ركعة في الفجر ، أو زيادة عشرين سوطاً في حد القذف .

٢. زيادة جزء منفصل عن المزيـد عليه ؛ كزيادة التغريب في حد الزنا ، بحيث يصبح الحد مركباً منها .

<sup>١</sup> الزمهم بذلك القاضي عبد الجبار ؛ كما في المعتمد (٤٠٦/١) وانظر أيضاً : كشف الأسرار للبخاري (١٩١/٣) ، البحر المحيط للزركشي (٢١٦/٢) . وقول الشوكاني : " وألزمهم صاحب المحصل : بأنه لو كان عدد كل الواجبات قبل الزيادة عشرة ، وبعد الزيادة لا يبقى ... " إرشاد الفحول (٨٠/٢) ليس بدقيق ، وإنما هو من إلزام القاضي عبد الجبار .

<sup>٢</sup> ينظر : المعتمد ؛ لأبي الحسين البصري (٤٠٥/١) ، العدة ؛ للقاضي أبي يعلى (٨١٩/٣) ، التلخيص في أصول الفقه ؛ لأبي المعالي الجوني (٥٠٢/٢) ، قواطع الأدلة في الأصول ؛ للسمعاني (٤٤٠/١) ، المنخول ، ص : ٣٩٤ ، المستنسن ، ص : ٩٤ ، كشف الأسرار للبخاري (١٩١/٢) ، التوضيح على التتفيق مع شرح التلويح (٣٦/٢) ؛ البحر المحيط للزركشي (٢١٦/٢) .

<sup>٣</sup> ينظر : فوائق الرحمن ، للعلامة عبد العلي الانصاري (٩١/٢) وغيره من المصادر السابقة .

٣. زيادة بالتخمير في اثنين بعد ما كان الواجب واحداً؛ مثل: فرضية مسح الرأس، ثم القول بجواز المسح على العمامة. ومثل: فرضية غسل القدمين سواء لبس الخف أم لا، ثم زيادة مسح الخفين.

٤. زيادة بالتخمير في ثلاثة بعد ما كان الواجب أحد اثنين؛ مثل القضاء بشاهدين، أو بشهادة رجل وامرأتين، ثم القول بشاهد ويدين.

فرع: اتفق العلماء في الزيادة المستقلة أنها ليست بنسخ؛ حسبما سبق تفصيله. وأجمعوا على أن الزيادة إذا وردت مقارنة للمزيد عليه لا تكون نسخاً<sup>١</sup>، كما ورد في حد القذف الجلد، وورد مقارناً له رد الشهادة<sup>٢</sup>: فإن رد الشهادة ليس بزيادة ولا نسخ له للقرآن. وكذلك إذا وردا متعاقبين، وبينهما زمان لا يصلح للنسخ<sup>٣</sup>.

وأما إذا وردت الزيادة متعلقة بالمزيد عليه، ومتاخرة عنه تأخراً يجوز القول بالنسخ في ذلك القدر من الزمان؛ كزيادة شرط الإيمان في رقبة الكفار؛ فقد اختلفوا فيه<sup>٤</sup> على أقوال، ويتربى على الخلاف أنه عند القائل بالنسخ لا يجوز الزيادة إلا بما يجوز به النسخ. فالقطعي لا ينسخ إلا بقطعي؛ كالتجريب في حد الزنا؛ فإن أبو حنيفة لما كان عنده نسخاً نفاه، لأنه نسخ للقرآن بخبر الواحد، ولما لم يكن عند الجمهور نسخاً قبلوه إذ لا معارضة<sup>٥</sup>.

(للبحث صلة)

<sup>١</sup> ينظر: ميزان الأصول، ص: ٧٢٤، بذل النظر للأسمدي (٢٥٤/٢)، كشف الأسرار للبيخاري (٢٨٥/٢).

<sup>٢</sup> في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) إلى (فَاجْلُدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدًا وَلَا تَنْبُلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبْدًا)، (النور: ٤).

<sup>٣</sup> ميزان الأصول للスマرقندي، ص: ٧٢٤.

<sup>٤</sup> اختلف في كل ظاهر استعمل في خلافه، كالمطلق إذا أريد المقيد، والنكرة إذا أريد المعين. كشف الأسرار (١٦٧/٣).

<sup>٥</sup> البحر المحيط (٢١٩/٣)؛ وأيضاً: العدة (٨١٤/٣)؛ تخريج الفروع على الأصول للزنجماني (٥٠)؛ فواتح الرحمن (٩٢/٢).

# الوقف ودوره في المجتمع

(الحلقة الثالثة الأخيرة)

الدكتور / خورشيد أشرف إقبال الندوبي

المبحث الثاني : الأثر الاقتصادي للوقف :

المطلب الأول : دور الوقف في سد حاجات المجتمع ومتطلباته :

إن أي نظام اقتصادي يهدف إلى تحقيق أمرين :

الأول : تحقيق الرفاهية الاجتماعية .

الثاني : تحقيق التنمية الاقتصادية .

تبذل الأنظمة الاقتصادية الموجودة في العالم بوسائلها المختلفة قصارى جهودها في تحقيق هدفين أساسين . هما الرفاهية الاجتماعية والتنمية الاقتصادية ، ومن ذلك نجد أن النظام الاقتصادي الإسلامي استخدم أيضاً وسائله الخاصة لتحقيق ذلك ، وهذه الوسائل هي :

أولاً : وسائل التمويل المجاني ، وهذه بدورها تنقسم إلى نوعين :

١. وسائل تطوعية ، مثل : الصدقة ، الهبة ، كفالة الأيتام .

٢. وسائل إلزامية ، مثل : الزكاة ، الكفارات ، الخراج ، العشور .

ثانياً : وسائل تمويل استثمارية ، وذلك عن طريق العقود والمعاوضات ، كالمضاربة ، والشركة ، والسلم ، وغيرها .

ولما كان أفراد المجتمع متفاوتون من حيث مستوى المعيشة ؛ بين أغنياء ، وفقراء ، وأصحاب دخول متوسطة . نجد أن الإسلام سعى إلى التقريب بين هذه الفئات ، وتقليل الفوارق الاجتماعية بينها ، فعمل كنظام اقتصادي على تحقيق التكافل الاجتماعي بين فئاته المتعددة من خلال رعاية الفقراء وذوي الحاجة والضعف بحيث يتحقق لهم مستوى لائق للمعيشة .

ولقد كان للوقف دور بارز في تحقيق هذه الغاية العظيمة ؛ حيث شمل أنواعاً متعددة من وجوه البر اقتضتها ظروف المجتمع المختلفة ، كالوقف على الذرية والأولاد ، أو المساكين والمحاجين ، أو ابن السبيل

المنقطع ، أو الوقف على المدارس والمساجد والمستشفيات ، والأراضي والعقارات ، والأوقاف للقرض الحسن ، والبيوت الخاصة للفقراء ، والمطاعم التي يفرق فيها الطعام للمحتاجين والفقراء ، ووقف بيوت للحجاج بمكة ينزلون فيها وقت الحج ، ووقف الآبار . بل إنه شمل أيضاً الوقف على شئون الزواج لمن ضاقت أيديهم عن نفقاته ، وغير ذلك<sup>١</sup> .

لا شك أن كل ذلك يحقق تكافلاً اجتماعياً فريداً من نوعه ؛ لأن أصحاب رؤوس الأموال سخروا هذه الأموال التي أوقفوها في سد حاجات المعوزين من أفراد المجتمع ، فكفلوا لهم بذلك حياة كريمة ، وحفظوا عليهم إنسانيتهم وعزتهم من غير إراقة ماء وجوههم في سؤال الناس . وبذلك يكون الإسلام قد أوجد وسيلة لعلاج مشكلة من المشاكل الاقتصادية التي تواجه العالم وهي مشكلة الفقر والبطالة . فشكل الوقف بذلك حلقة من حلقات التكافل والتضامن ، لا سيما وأنه يتميز بدوره المستمر في العطاء والإإنفاق ، حيث إن عينه لا تستهلك ، وهذا بدوره يضمن لنا ضمن الظروف الطبيعية دواماً في إمكانية سد الحاجات الملحة للمجتمع .

يقول الدهلوi : " إن الرسول صلى الله عليه وسلم استتبط الوقف لصالح لا توجد في سائر الصدقات ؛ فإن الإنسان ربما يصرف في سبيل الله مالاً كثيراً ثم يفني ، فيحتاج أولئك الفقراء تارة أخرى ، وتجيئ أقوام آخرون من الفقراء فيبقون محرومين ، فلا أحسن ولا أنفع للعامة من أن يكون شيء حبسأً للفقراء وابن السبيل يصرف عليهم منافعه ويبقى أصله "<sup>٢</sup> .

### المطلب الثالث : دور الوقف في التداول :

يراد بالتداول حركة وانتقال للمال ، ومنع تجميده وثبوته في موضع واحد بحيث لا يستفاد منه ؛ لأن هذا المعنى إنما ينطبق على الثروة<sup>٣</sup> .

<sup>١</sup> انظر : د/ فؤاد السرطاوي : التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص ، ص ١٩٦ ، د/ بيلي إبراهيم : مدى فعالية الضمان الاجتماعي في الاقتصاد الإسلامي ، ضمن مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ص ٢٨٢ .

<sup>٢</sup> الدهلوi : حجة الله البالغة ، ١١٦/٢ .

<sup>٣</sup> انظر : محمد العبدة : قراءة في فكر مالك بن نبي ، مجلة البيان ، ص ٢٩ .

وقد عمل الإسلام على توجيهه أموال الأمة وتحريكها وتنشيطها سواء عن طريق التمويل المجاني بنوعيه الإلزامي والتطوعي ، أو عن طريق التمويل الاستثماري ، في خدمة اقتصاد الأمة . فكانت جميع الأموال التي بين أيدي المسلمين متداولة ورائحة رواجاً يحقق المصلحة العامة التي يسعى الشرع الحنيف إلى تحقيقها من خلال سياساته المالية<sup>١</sup> .

والوقف بكونه نوعاً من التمويل الذي جاء به النظام الإسلامي ، يمكن الاستفادة منه في تحريك المال وتداركه ؛ وذلك لأن الأموال المدخرة عند الأغنياء إذا أوقفوها بحيث تستغل استغلالاً تجاريًّا يدرّ بربح على الموقوف عليهم ، فإننا بذلك الاستغلال التجاري وجهنا جزءاً من المال إلى السوق التجارية ، الأمر الذي سيؤدي إلى زيادة في الطلب ، وعندما تحدث الزيادة في الطلب يتربّط على ذلك زيادة في الإنتاج لتلبية رغبات الطالبين ، يسيراً مع زيادة الإنتاج قلة في التكاليف بالإضافة إلى المنافسة التي تتوجه اتجاهين ، تنافس على النوعية ، وتنافس على الكمية . هذا التناقض ينبع عنه إقامة منشآت تجارية من مصانع ، ومستشفيات ، وبالتالي ينشأ لدينا سوق عمل لتلبية احتياجات هذه المنشآت التجارية مما يتربّط على ذلك من تشغيل أيدٍ عاملة كانت في السابق تعاني البطالة وقلة العمل ، وهذه الأيدي العاملة يتحرك في يدها المال ويصبح لديها احتياجات ، فيزيد الطلب على السلع في الأسواق بسبب توفر السيولة النقدية ، وهكذا نلاحظ أن العملية أصبحت متواتلة ونشطة .

يقول الدكتور شوقي : " شيوع ظاهرة الوقف في المجتمع الإسلامي ، والتتوّع الكبير في الأموال الموقوفة ، والجهات الموقوف عليها ، ولد حركة استثمارية شاملة من خلال إنشاء الصناعات العديدة وتطويرها التي تخدم أغراض الوقف ، ومن ذلك على سبيل المثال : صناعة السجاد ، وصناعة العطور والبخور ، ... هذه الصناعات التي ازدهرت من جراء عملية الوقف وما تولد عنها من صناعات خادمة ومكملة ، ومن عمل فيها من عمال وفنيين ، وما تولد عنها من دخول ومرتبات وأثمان ، كل ذلك يعدّ إضافات مستمرة إلى الطاقة الإنتاجية القائمة ، أو بعبارة أخرى : مزيداً من الاستثمارات الإنتاجية ، والتي تعتبر دعامة لأي تقدم

<sup>١</sup> انظر : د/ فؤاد السرطاوي : التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص ، ص ٤٤ .

اقتصادي<sup>١</sup>

وبذلك يكون النظام الاقتصادي الإسلامي من تشریعه للوقف قد حق عنصر التوازن من خلال التوزيع العادل للثروة ، وعمل على إعادة دوران حركة الأموال والنقد بين أيدي الناس<sup>٢</sup> .

ولكن يجب توجيه أموال الوقف توجيهًا سليمًا نحو المشاريع ذات النفع العام وما يحقق مصلحة المجتمع بأسره ، فإذا كانت حاجة الأمة إلى نوع محدد من المشاريع ؛ كالمشاريع الزراعية أو الصناعية أو التجارية ، كان من الواجب أن توجه هذه الأموال إلى الاستثمار في هذه المجالات<sup>٣</sup> .

وبذلك نرى مدى واقعية القول الذي يرى أن الوقف إذا خرب أو انعدم نفعه ، فإنه ببأي وتحول إلى ما يدرّ نفعاً ؛ لأن القصد من الوقف هو سد حاجات الموقوف عليهم واستغفارهم ، ولا شك أن الوقف إذا لم يحقق هذه الغاية ، فإنه يصبح نوعاً من هدر أموال الأمة ، والإسلام جاء بخلاف ذلك . فإذا كان هذا فيما يتعلق بمصلحة أفراد معينين ، فما يقوم بمصلحة الأمة بأسرها أولى وأحرى بالتطبيق والمراعاة .

**المطلب الرابع : دور الوقف في تنمية رأس المال البشري :**

يقصد برأس المال البشري : كل ما يمتلكه الإنسان في نفسه من مقومات تسهم في النشاط الاقتصادي وتنميته ، مثل : الخبرة ، والمهارة ، والمعرفة ، والقدرة البدنية<sup>٤</sup> .

هذه المقومات التي يقوم عليها رأس المال البشري لا تقل أهمية في التنمية الاقتصادية عن المقومات المالية ؛ لا سيما إذا علمنا أسن الفكر الاقتصادي المعاصر اعتبار الإنفاق على التعليم والصحة هو إنفاق استثماري<sup>٥</sup> .

وكما علمنا أن الأوقاف شملت جوانب متعددة بما فيها التعليم والصحة من خلال وقف المدارس ودور التعليم المختلفة ، والمساجد

<sup>١</sup> د/ شوقي دنيا : أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة ، ص ١٣٩ .

<sup>٢</sup> انظر : د/ فؤاد السرطاوي : التمويل الإسلامي ودور القطاع الخاص ، ص ٤٤ .

<sup>٣</sup> انظر : المصدر السابق ، ص ٤٦ .

<sup>٤</sup> انظر : د/ شوقي دنيا : أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة ، ص ١٣٥ .

<sup>٥</sup> انظر : المصدر السابق .

والمستشفيات ، أو الإيقاف عليها .  
أولاً : الوقف والتعليم :

لم يقتصر أثر الوقف في التعليم عند علم معين ، وإنما شمل أنواعاً مختلفة من العلوم وألوان المعرفة ، سواء في ذلك الشرعي منها والدنيوي من طلب وفلك وصيدلة وغيرها ، مما جعل للوقف دوراً بارزاً في إحداث نهضة علمية شاملة لجميع أنواع المعرفة .

ولقد تنوّعت خدمات الوقف لدور التعليم والمتعلمين ، حيث كفلت للمعلمين والمتعلمين شئون التعليم والإقامة والطعام والعلاج ، بل وتأمين أماكن إقامة يأوي إليها المسافرون لطلب العلم . وهذا من شأنه أن يوفر وسائل التعليم لجميع فئات المجتمع الواحد ، وبالتالي يؤدي إلى وجود أعداد غفيرة من المتعلمين وبتخصصات مختلفة ومتنوعة .

ولكن ما هو الأثر الاقتصادي المتولد من هذه النتيجة ؟ إن الدراسات في هذا الشأن ثبتت أن هؤلاء كان وجودهم واضحاً في ساحة النشاط الاقتصادي للمجتمع الإسلامي : إذ عملوا تجارة ، وكتبة ، ومحاسبين ، وصيارة ، وغير ذلك من المهن التي عُرِفت في المجتمع <sup>١</sup> .

#### ثانياً : الوقف والصحة :

تعد التغذية السليمة والمسكن الصحي والنظافة والعلاج عناصر ومقومات للصحة . ولقد عمل الوقف على الاهتمام بهذه العناصر مما كان له الأثر الكبير في التقدم الاقتصادي .

وببيان ذلك : أنه كان في المجتمع الإسلامي وقوفاً عديدة على المستشفيات والمصحات العامة كفلت لنزلائها العلاج والغذاء وكل ما يلزمه للمحافظة على صحتهم ووقايتهم من الإصابة بالأمراض .

ولما كانت الأيدي العاملة إحدى عناصر الأساسية التي يقوم عليها الإنتاج ، كان لا بد لتفعيل هذا الإنتاج من زيادة كفاءة الأيدي العاملة وقدرتها على إنتاج كميات أكبر وفي وقت أقل ، ولا شك أن هذه الكفاءة الإنتاجية تتوقف درجتها على اعتبارات عده ، منها : الخدمات

<sup>١</sup> د/ عبد الملك السيد : الدور الاجتماعي للوقف ، ص ٢٥٨ ، نقلًا عن بحث : أثر الوقف في إنجاز التنمية الشاملة ، ص ١٣٧ .

الاجتماعية التي تتضمن توفير الحاجيات الأساسية للأفراد من تأمين غذاء سليم ، و توفير سكن صحي ، والاهتمام بالشئون الصحية والرعاية الطبية<sup>١</sup> ، إضافة إلى الاهتمام بالشئون التعليمية .

#### الخاتمة :

بعد استعراض الموضوع من جوانبه المختلفة ، نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها أثناه البحث :

١. الوقف من المعاملات الشرعية التي جاء الإسلام بها ونذهب إلى فعلها وحث عليها : لما فيه من مصلحة تلحق بالأمة في الدنيا والآخرة . وأنه من المعاملات الالزامية التي لا تنتقض بعد صدورها من الواقع .
٢. تتوعد مظاهر الوقف في الشريعة الإسلامية تتوعّاً كان له الأثر البارز في تحقيق مصالح متعددة للمجتمع الإسلامي .
٣. اتفق العلماء على أنه لا يجوز التصرف بالوقف بالاستبدال والتغيير عند عدم وجود مصلحة في ذلك ، فإن كانت هناك مصلحة راجحة متحققة فالراجح من أقوال العلماء أنه يمكن استبدال الوقف بما يعود نفعه على الأمة والموقوف عليهم . وبذلك نكون قد حققنا استغلالاً أمثل للوقف بحيث يؤدي مهمته التي شرع من أجلها .
٤. من الأهمية بمكان أن يجعل الوقف صالحًا للبقاء والدوام من خلال الإنفاق عليه من غلته ، أو من الأموال الموقوفة . وبذلك نضمن دوام الدخل وسد حاجات الموزعين من أفراد المجتمع .
٥. يعد استثمار الوقف مجالاً من مجالات تحريك الأموال وعدم تركها في ناحية معينة؛ وذلك بتداولها وإعادة توزيعها بين أفراد المجتمع ممن يحسنون استغلالها ، الأمر الذي يعود نفعه على المجتمع ، ويحقق له النمو الاقتصادي .
٦. عمل الوقف على تتميم رأس المال البشري من خلال توفير أيدي عاملة متخصصة ومتعددة في مجالات مختلفة ، بتوجيهه لأشكال الوقف والجهات الموقوف عليها .
٧. عمل الوقف على تعزيز الموازنة العامة للدولة من خلال تكفله بكثير من النفقات التي تشقّ كاهل الدولة وتعدّ في الوقت نفسه من أهم العوامل التي ترقى بالأمة إلى ركب الحضارة والتطور .

(١) انظر : بسام أبو خضرير وأخرون : مدخل إلى علم الاقتصاد ، ص ٢٩ .

## مساهمات شمس الحق في مجال علم الحديث

الدكتور شهناز أحمد\*

يعد شمس الحق العظيم آبادي من كبار المحدثين في القرن العشرين . وقف حياته الكاملة لخدمة الأحاديث النبوية المطهرة درساً وتدريساً مع التدوين والتأليف ، فبذل كل جهوده في إحياء السنة والحديث مع التبليغ لدعوة القرآن لإعلاء كلمة الله ، وإزالة المنكرات والبدع المنتشرة في المجتمع . كان واسع المعرفة بمتون الأحاديث وأسانيدها ، بأن كان له قدرة تامة في التمييز بين الصاحح والضعاف . وكانت له نظرة عميقة في الأحاديث ومفاهيمها ، حيث إنه كان ماهراً في استبطاط المسائل منها . إنه ترك آثاراً ضخمة في مجال الحديث وعلومه وله مكانة عالية بين علماء عصره .

ولد المحدث الكبير والفقير الشهير ، أبو الطيب محمد شمس الحق بن أمير علي بن مقصود على الصديقي العظيم آبادي في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٧٣ من الهجرة المصادفة ١٨٥٧ من الميلاد بقرية " ديانوان " لمحافظة عظيم آباد<sup>١</sup> ، التي معروفة اليوم باسم " بتنه " ، عاصمة ولاية " بهار " . وتوفي بمرض " الطاعون " في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢٢٩ من الهجرة بمطابق ٢١ مارس سنة ١٩١١ من الميلاد .

تلقى العلوم الابتدائية في بلاده رسميأً على أيدي العلماء البارزين مثل الشيخ عبد الحكيم الشيخو فوري<sup>٢</sup> ، ثم بعد ذلك سافر إلى مدينة

\* أستاذ ضيف في قسم اللغة العربية وأدابها بجامعة خواجة معين الدين الجشتى - الأردية والعربية والفارسية - بلكانا .

نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوااظر للعلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، المجلد ٨ / ص ١٢٤٣ .

هو عبد الحكيم بن كرامة حسين بن شاء الله الشيخو فوري ، أحد الفقهاء الحنفية ، كانت له يد بيضاء في النحو والمنطق والكلام وأصول الفقه ، أخذ عنه غير واحد من العلماء ، مات لأربع عشرة خلون من ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين ألف ، كما في " تذكرة النباء " ، انظر : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوااظر للعلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، المجلد ٧ ، ص ١٠٠٤ .

لكتأه للحصول على العلوم العالمية ، وتعلم المنطق والفلسفة هنا من الشيخ فضل الله اللکھنوي<sup>١</sup> ، ثم سافر إلى مدينة مراد آباد وتلمذ على المحدث الشيخ القاضي بشير الدين القنوجي<sup>٢</sup> .

وبعد ذلك اتجه إلى مدينة دھلی وتلمذ على يد الشيخ السيد نذیر حسین<sup>٣</sup> المحدث الكبير في الهند وقرأ عليه الكتب الستة والمؤطأ والدارمي والدار قطنی وتفسیر الجلالین وغيرها . وتخرج عليه في مجال علم الحديث . ثم انقل إلى مدينة بهوفال واستفاد من الشيخ الإمام العلامة المحدث القاضي حسین بن محسن الأنصاری الیمانی<sup>٤</sup> ونال إجازة عامة من

<sup>١</sup> هو فضل الله بن الفتی نعمة الله الأنصاری اللکھنوي ، كان من ذرية الشیخ الشهید قطب الدین محمد السہالوی ، ولی التدریس فی المدرسة الكلیة " کیننگ کالج " بلکھنؤ ، فدرس وأفاد بها مدة عمره . وكان قلیل الخبرة بالعلوم الشرعیة، ملزماً لتدريس المنطق والحكمة لا سيما الزواهد الثلاثة وتحرير الأقليدس وخلافة الحساب وغيرها . مات لأربع عشرة خلون من ربيع الآخر سنة اشتی عشرة وثلاثمائة وألف ببلدة لکھنؤ ، انظر : المرجع السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٣٢٧ - ١٣٢٨ .

هو بشیر الدین بن کریم الدین العثمنی القنوجی ، أحد العلماء المشعورین ، ولد سنة أربع وثلاثین ومائین وألف ببلدة " قنوج " ونشأ بمدينة " بریلی " . حفظ القرآن على يد أحمد علی ، وقرأ النحو والصرف وبعض رسائل المنطق على تقضی حسین البریلیوی ، والأدب العربي على مولانا أوحد الدین البلاجرامی وأیضاً مولانا قدرة الله اللکھنوي ، وأخذ الحديث عن الشیخ رحیم الدین البخاری عن الشیخ عبد العزیز بن ولی الله الدھلیوی . ترك مصنفات كثیرة مثل " شرح العقائد " ، " کشف المبهم " ، " تقویم المسائل " ، و " الصواعق الالهیة " وغيرها . مات في ذی الحجۃ سنة ست وتسعین ومائین وألف بمدينة " بهوفال " كما في " تذكرة النباء " ، انظر : المرجع السابق ، المجلد ٧ ، ص ٩٣٦ .

هو نذیر حسین بن جواد علی بن عظمة الله بن الله بخش الحسینی البهاری ثم الدھلیوی ، المتفق على جلالته وبیاته في علم الحديث . ولد سنة عشرين وقيل خمسة وعشرين ومائین وألف بقریته " سروج کرها " من أعمال بھار . سافر إلى بلاد عديدة لغرض الحصول على التعليم وتلمذ کبار العلماء لعصره مثل السيد الإمام الشهید أحمد بن عرفان الحسینی البریلیوی ، والشیخ اسماعیل بن عبد الغنی الدھلیوی ، والشیخ عبد الحی بن هبة الله البرهانوی والشیخ شیر محمد القندهاری والعلامة جلال الدین الھروی والشیخ کرامۃ العلی الإسرائیلی صاحب السیرة الأحمدیة وغيرهم . أقام في دھلی ولازم دروس الشیخ المسند إسحاق بن محمد أفضل العمري الدھلیوی . انظر : المرجع السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٣٩١ .

هو حسین بن محسن بن محمد بن مھدی بن أبي بکر بن حسین بن عثمان بن محمد بن عمر بن محمد بن مھدی بن حسین بن احمد بن حسین بن ابراهیم بن ادريس بن

هذا الشيخ .

علاوة ذلك فإنه استفاد من العلماء العرب خلال إقامته في الحجاز بيارادة أداء فريضة الحج ، مثل الشيخ خير الدين أبو البركات نعمن بن محمود الألوسي ، والشيخ أحمد بن إبراهيم ، الشيخ فالح بن محمد الظاهري ، الشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي ، وغيرهم ، كما ذكر العلامة عبد الحي في كتابه :

" وكان حليماً متواضعاً ، كريماً عفيفاً ، صاحب صلاح وطريقة ظاهرة ، محباً لأهل العلم ، سافر إلى الحجاز سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف ، فحج وزار وأدرك المشايخ ، فاستفاد منهم وأفاد ، وكان يحبني لله سبحانه و كنت أحبه ، وكانت بيني وبينه من المراسلة ما لم تقطع إلى يوم وفاته " <sup>١</sup> .

ثم رجع إلى بلده وانسلك في الدرس والتدريس ، والتدوين والتأليف . داع صيته ، فجعل يتجه إليه الطلبة من كل جهة واستفاد عدد كبير من غزارة علمه في مختلف المجالات وخاصة في مجال الأحاديث النبوية الشريفة . فمنهم الشيخ محمد عبد الرحمن المباركفوري رحمه الله ، صاحب " تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى " .

كان العلامة خالصاً ومخلصاً في أعماله العلمية والدينية ، ولا يحب شهرة نفسه ، وإنما هدفه إفادة الشعب وعون الأمة في فهم الدين والشريعة بطريقة القرآن والأحاديث النبوية فقط ، فمثلاً إنه نسب إلى أخيه الصغير الشيخ شرف الحق العظيم آبادى <sup>٢</sup> المجلد الأول من كتابه

تقى الدين بن سبيع بن عامر بن عتبة بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن عمرو بن كعب بن الخزرج بن - سعد الأنصاري الصحابي . كانت ولادته ببلدة الجديدة لأربعة عشر مضمين من جمادي الأولى سنة خمس وأربعين ومائتين وألف ، وتلقى علوم الحديث من الشيخ السيد العلامة حسن بن عبد الباري الأهدل ، ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة زبيد من أرض اليمن إلى مفتى زبيد وأiben مفتتها السيد العلامة سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهدل وأجازه إجازة كاملة عامه . وتوفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وألف ، انظر : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوااظر للعلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، المجلد ٨ ، ص ١٢١٢ - ١٢١٤ .

<sup>١</sup> المرجع السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٢٤٣ .

<sup>٢</sup> هو محمد أشرف بن أمير علي الصديقي الديانوي ، هو شقيق الشيخ شمس الحق المحدث صاحب عنون المعبد ، ولد لثلاثة خلون من رباع الثاني سنة خمس وسبعين ومائتين وألف ، وقرأ العلم مشاركاً لصنوه شمس الحق المذكور على المولوي عبد

"عون المعبود على سنن أبي داؤد" حتى اختلف الناس في هذا الكتاب بأنه من هو المؤلف الحقيقي لهذا الكتاب.

له خبرة واسعة في فن أسماء الرجال وطبقات المحدثين والجرح والتعديل ، وكان بارعاً في استبطاط المسائل مع الوضاحة والشروح للأحاديث . كان يحب العلماء والشيخوخة ويزورهم بعض الأحيان في الأمور الدينية والعلمية . وغزارته العلمية تترشح من الحكاية التي قرأتها ، وأريد أن أذكر أمامكم :

"إن أبي الطيب استدعي الشيخ المباركفوري حين أراد أن يكتب شرحاً مختصراً لسنن أبي داؤد وموجزاً كافياً لحل متون الحديث ، وأسكنه عنده ليستعين به في الشرح المذكور ، وكان العلامة المذكور مع فضله وتفوقه على أهل زمانه ، وتبصره في العلوم والفنون يعتمد على ما يكتب ، ويقول شيخنا (يعني المباركفوري) ويستحسن ما يسطر ويستجده ، ويطمئن به قلبه ، ويراجعه في الموضع الغامض ، ويداكره ويستشيره ، فمكث عنده نحو أربعين سنة يعينه في تحرير الشرح حتى كمله ، وكانت إقامته هناك في سنة عشرين بعد ألف وثلاثة مائة إلى سنة ثلاثة وعشرين" <sup>١</sup>.

كان شمس الحق موهوباً من جانب الله في فهم علوم القرآن والسنة وكان يحب أن يجمع الكتب النادرة القيمة ، خاصة الكتب في مجال السنة ، فلذا بذل أموالاً طائلة لتكمل هذا الغرض . ولله مكانة مرموقة في مجال الحديث النبوي عليه الصلاة والسلام بين محدثي عصره في جميع أنحاء العالم . وخدماته الجبارية دالة على غزاره علمه ومتنه على

الحكيم الشیخوفوری - - والمولوی لطف العلی البهاری ، ومولانا فضل الله بن نعمة الله الکھنوي والقاضی بشیر الدین العثمانی القنوجی ، ثم أخذ الحديث عن الشیخ السید نذیر حسین الدھلوای المحدث . له رسالتی فی القراءة خلف الإمام ، وقد عزا إلیه صنوه شمس الحق المجلد الأول من عون المعبود ، أخبرني بذلك الشیخ شمس الحق . مات لخمس عشرة خلون من محرم سنة ست وعشرين وثلاثة مائة وألف بدیانوان ،

انظر : المرجع السابق ، المجلد ٨ ، ص ١٢٥.

<sup>١</sup> التعليق المغني على الدارقطني ، الجزء الأول ، حققه شعيب الأرنؤوط ، وحسن عبد المنعم شلبي ، عبد اللطيف حرز الله ، وأحمد برهوم ، ص ٣٦ . ومقدمة تحفة الأحوذی شرح جامع الترمذی لمحمد عبد الرحمن المباركفوري ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٠ - ١٩٩ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

أصحاب العلم ، خاصةً على طلبة الحديث . كان له الاعتناء الخاص بكتب الأحاديث ونشرها ، فكتب كتاباً عديدة في هذا المجال تأليفاً وشرحاً وتوضيحاً للأصول والمبادئ وغيرها .

**آثاره العلمية :**

١. إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر . (العربية) . طبع هذا الكتاب أولاً في المطبع الأننصاري بدلهي سنة ١٣٠٤ من الهجرة وكانت محتوية على ٦٧ صفحة ، ثم نشرته إدارة العلوم الأثرية بلائفور - باكستان وهي طبعة محققة ومحتوية على ٢٨٦ صفحة .
٢. الأقوال الصحيحة في الأحكام النسكية . (الفارسية) . هذا مطبوع<sup>١</sup> ، لكن ما وجدت التفاصيل عنه .
٣. تحفة المتهجدين الأبرار في أخبار صلاة الوتر وقيام رمضان عن النبي المختار . هذا من كتبه المفقودة .
٤. التحقيقات على بإثبات فرضية الجمعة في القرى . (الأردية) . هي رسالة طبعت في المطبع الأحمداني بيته في الهند سنة ١٣٠٩ من الهجرة .
٥. تذكرة النبلاء (في تراجم العلماء) ، ولكنه لم يوفق لتمكيله .
٦. التعليق المغنى على سنن الدارقطني . (العربية) . طبع هذا الكتاب بعناية الشيخ عبد الله هاشم اليماني المد니 عن دار المحاسن للطباعة بالقاهرة سنة ١٣٨٦ من الهجرة الموافقة ١٩٦٦ من الميلاد في أربعة مجلدات .
٧. تعليقاته على "إسعاف المبطأ ب الرجال الموطأ " للسيوطى . (العربية) . طبعت هذه التعليقات في المطبع الأننصاري بدلهي سنة ١٣٢٠ من الهجرة ، محتوية على ٥٠ صفحة .
٨. تعليقاته على "جامع الترمذى" . توجد هذه التعليقات مخطوطة في "مجموعة تسوييدات" في مكتبة "خدا بخش" بيته .
٩. تقرير المتذكرين في ذكر كتب المؤلفين . لكن التفاصيل عنه غير

<sup>١</sup> غایة المقصود في شرح سنن أبي داود ، حققه محمد عزيز شمس وأبو القاسم الأعظمي ، المجلد الأول ، ص ٢٠ .

الثقافة الإسلامية في الهند ، عبد الحي الحسني ، ص ٨٣ ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، سنة ٢٠١٢ م .

١٠. تقيح المسائل . ( مجموعة فتاواه ، الأردية ) . هذا مطبوع ، لكن ما وجدت التفاصيل عنه .
١١. رسالة الفقة . ( العربية ) . هذه مخطوطة .
١٢. رفع الالتباس عن بعض الناس . ( العربية ) . هي رسالة طبعت في دار الترجمة والتأليف والنشر بالجامعة السلفية ببنaras بتحقيق الأستاذ محمد عزيز شمس ، سنة ١٣٩٦ من الهجرة المصادفة ١٩٧٦ من الميلاد .
١٣. العقود الجمان في جواز الكتابة للنسوان . ( الفارسية ) . هي رسالة تحتوي على ٢٢ صفحة وطبع في المكتب الإسلامي بدمشق سنة ١٢٨١ من الهجرة الموافقة ١٩٦١ من الميلاد وإنها أيضاً طبعت في مؤسسة المجمع العلمي بباكستان سنة ١٤٠٨ من الهجرة .
١٤. عنون المعبود على سِنْنَ أَبِي دَاوُد ، (أربعة مجلدات) <sup>١</sup> (العربية) . طبع هذا الكتاب أولاً في الهند كالجزء الأول سنة ١٣١٨ من الهجرة والجزء الرابع سنة ١٣٢٣ من الهجرة . ثم طبع عدة مرات في مختلف دور الطباعة والنشر في جميع أنحاء العالم .  
أصلاً هذا الكتاب اختصار لكتابه "غاية المقصود" كما ذكر العلامة في مقدمة هذا الكتاب : "خشيت أن تأليف "غاية المقصود" قد يطول ، وإكماله قد يأخذ منه الوقت والجهد ، فعجلت بإخراج هذا المختصر وسميته بـ "الحاشية" <sup>٢</sup> .
١٥. غاية المقصود في حل سنن أبي داود . (العربية) . لم يتيسر للمؤلف تكمل هذا الكتاب ، ولو تم لكان في مجلدات كثيرة ، حيث إنه وصل به إلى "باب الدعاء للميت إذا وضع في قبره" فقط . وطبع الجزء الأول لهذا الكتاب فقط في "المجمع العلمي" بكراتشي وفي "حديث التعليق المغنى على الدارقطني ، الجزء الأول ، حققه شعيب الأرناؤوط ، وحسن عبد المنعم شلبي ، وعبد الطيف حرز الله ، وأحمد برهوم ، ص ٣٥ .
١٦. غاية المقصود في شرح سنن أبي داود ، حققه محمد عزيز شمس وأبو القاسم الأعظمي ، المجلد الأول ، ص ٢١ .
١٧. المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٢٠ .
١٨. المجلد الأول منها قد طبع باسم أخيه محمد أشرف وهو ملخص من غاية المقصود . انظر : نزهة الخواطر ، ص ١٢٤٣ .
١٩. عنون المعبود شرح سنن أبي داود ، شمس الحق العظيم آبادي ، ج ١ ، ص ٤ .

**أكاديمي " بفيصل آباد - باكستان سنة ١٤٤١هـ من المهرة بتحقيق الأستاذ محمد عزيز شمس والأستاذ أبي القاسم الأعظمي تحت إشراف محمد إلياس عبد القادر .**

هذا الكتاب شرح لسنن أبي داود وهو شهير جداً بين العلماء والطلبة في مجال الحديث ، ومن أراد أن يقرأ " سنن أبي داود " فلا يمكن أن يستغني عن هذا الكتاب ، فهذا مفيد ونافع في فهم الأحاديث ومطالبتها . فالعلامة كتب عن إفادته وغرضه :

" إن السنن للإمام الحافظ شيخ الإسلام والمسلمين أبي داود السجستاني كتاب دقيق ، صعب على الطالبين حل مقلقاته ، وكان السلف - رضوان الله عليهم أجمعين - قد كتبوا عليه شروحًا وحواشى ، ما بين مطول ومتوسط ومختصر ، لكن ما يوجد الآن عند عامة الناس من شروحه ما يحل الرموز ويفتح الفموض . فأردت أن أشرحه شرحاً كاملاً على جميع أحاديثه ، يحل رموزه ، ويفتح كنوزه ، ويوضح ما خفي على الراغبين . وبالفت في إيضاح الكتاب وتوجيهه رجاءً أن أدرج في سلسلة من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم : " نضر الله امرأً سمع مقالتي ، فوعاهما ، فإذاها كما سمعها " فاخترت نسخة المؤلوي ، لأنها كانت مشهورة في ديارنا ، ومروجة في عصرنا . وسميت هذا الشرح المبارك " غاية المقصود في حل سنن أبي داود " .

١٦. **غنية اللمع . (العربية)** . بحث عن عدة مسائل في الحديث . رسالة صغيرة مشتملة على ١٥ صفحة ، طبعت في المكتبة السلفية بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٨ من المهرة ، المصادفة ١٩٦٨ من الميلاد .

١٧. **فتوى رد تعزية داري** ( في الرد على الضرائح المتخذة من الخشب وغيره في ذكر شهادة الحسين بن علي رضي الله عنهما ، الأردية ) . هذا

أخرجه الترمذى في الجامع ، في أبواب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ، ص ٦٠٣ ، رقم ٢٦٥٦ ، وابن ماجة في السنن ، في المقدمة ، باب من بلغ علمًا ، ص ٣٦ ، رقم ٢٢٢ ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وقال الترمذى : " هذا حديث حسن صحيح " .

هو أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو المؤلوي ( ت ٥٣٣هـ ) كان يبيع المؤلو فتنسب إليه .

غاية المقصود في شرح سنن أبي داود ، شمس الحق العظيم آبادي ، ج ١ ، ص ٢٤ .

١٨. مطبوع ، لكن التفاصيل غير موجودة <sup>١</sup>.
١٩. فضل الباري في شرح ثلاثيات البخاري . هذا ناقص وعد من كتبه المفقودة .
٢٠. القول المحقق (في تحقيق إخصاء البهائم) . (الفارسية) . هذا مطبوع أيضا ، لكن ما وجدت التفاصيل عنه <sup>٢</sup> .
٢١. الكلام المبين في الجهر بالتأمين والرد على القول المتين . (الأردية) . هذا مطبوع أيضا ، لكن ما وجدت التفاصيل عنه <sup>٣</sup> .
٢٢. المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف . (العربية) . هذه رسالة تحتوي على ١٦ صفحة . طبعت في المطبع الأننصاري بدهلي سنة ١٣١٤ من الهجرة .
٢٣. النجم الوهاج في شرح مقدمة الصحيح لسلم بن الحجاج . هذا التأليف غير مطبوع ، ولكن نسخة له موجودة في مكتبة " خدا بخش " بيته والتي تحتوي على ٤٧ صفحة وفي كل صفحة ٣٠ سطرا .
٢٤. النور اللامع في أخبار صلاة الجمعة عن النبي الشافع . هذا من كتبه المفقودة .
٢٥. نهاية الرسوخ في معجم الشيوخ . هذا أيضا من كتبه المفقودة .
٢٦. هداية النجدين إلى حكم المعاقة والمصافحة بعد العيددين . (الأردية) . هذا مطبوع ، لكن ما وجدت التفاصيل عنه <sup>٤</sup> .
٢٧. هدية اللوزي بن كات الترمذى . (العربية) . هذا التأليف ناقص وتوجد نسخة خطية له في مكتبة " خدا بخش " بيته كما قال السيد عبد الماجد الغوري في مقالته <sup>٥</sup> . لكن وجدته مطبوعاً في غاية المقصود في شرح سنن أبي داود ، حققه محمد عزيز شمس وأبو القاسم

<sup>١</sup> غاية المقصود في شرح سنن أبي داود ، حققه محمد عزيز شمس وأبو القاسم الأعظمي ، المجلد الأول ، ص ٢١ .

<sup>٢</sup> غاية المقصود في شرح سنن أبي داود ، حققه محمد عزيز شمس وأبو القاسم الأعظمي ، المجلد الأول ، ص ٢٠ .

<sup>٣</sup>

<sup>٤</sup>

<sup>٥</sup>

المحدث الشيخ شمس الحق العظيم آبادي : حياته وجهوده الحديث النبوى ، سيد عبد الماجد الغوري ، الحديث : مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، السنة الثالثة ، العدد - السادس ، صفر ١٤٢٥هـ / ديسمبر ٢٠١٢م ، معهد دراسات الحديث النبوى (إنهاض) ، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلامنجر ، ماليزيا .

الأعظمي ، المجلد الأول ، ص ٢٠ .  
 ٢٧. الوجازة في الإجازة . (العربية) . طبع هذا الكتاب بتحقيق الأستاذ بدر الزمان محمد شفيع النيبالي في "المجمع العلمي" بكراتشي ، وفي "حديث أكاديمي" بفيصل آباد - باكستان سنة ١٤٠٨ من الهجرة .

#### المراجع والمصادر:

١. إمام المحققين والمحدث الشهير : علامه أبو طيب محمد شمس الحق عظيم آبادي رحمه الله - حیات اور خدمات (الأردية) ، محمد عزير شمس ، المركز الإسلامي للبحوث العلمية ، كراتشي - باكستان .
٢. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى ، محمد عبد الرحمن المباركفوري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .
٣. التعليق المفني على الدارقطنى ، الجزء الأول ، حققه شعيب الأرنؤوط ، وحسن عبد المنعم شلبي ، عبد الطيف حرز الله ، وأحمد برهوم ، الناشر : مؤسسة الرسالة .
٤. الثقافة الإسلامية في الهند ، عبد الحي الحسني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، سنة ٢٠١٢ م .
٥. غایة المقصود في شرح سنن أبي داود ، حققه محمد عزير شمس وأبو القاسم الأعظمي ، المجمع العلمي - كراتشي وحديث أكاديمي - فيصل آباد ، باكستان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٤ هـ .
٦. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنوااطر للعلامة عبد الحي بن فخر الدين الحسني ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، سنة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
٧. المحدث الشيخ شمس الحق العظيم آبادي : حياته وجهوده الحديث النبوى ، سيد عبد الماجد الغوري ، الحديث : مجلة علمية محكمة نصف سنوية ، السنة الثالثة ، العدد السادس ، صفر ١٤٢٥ هـ / ديسمبر ٢٠١٣ م ، معهد دراسات الحديث النبوى (إنهاض) ، الكلية الجامعية الإسلامية العالمية بسلامنجلور ، ماليزيا .



## الحركة العلمية الإسلامية بين الصحابة وأشهر علمائها

(الحلقة الثانية)

د . محمود عالم الصديقي \*

**شخصية عبد الله بن عباس رضي الله عنه العلمية :**

والعلم الثالث الذي نحن بصدده ترجمته العلمية ، وهو عبد الله بن عباس رضي الله عنه . وكان واسع الاطلاع في نواحٍ مختلفة ، يعرف الشعر والأنساب ، وكان يتضلع من العلوم القرآنية من التفسير والسنة والفقه والتأويل . وكان حريصاً كل الحرص على إتقان العلوم القرآنية ، حتى إنه سكب وضوء النبي عند خالته ميمونة ". فلما فرغ النبي صلى الله عليه وسلم ، قال من وضع هذا ، فقال ابن عباس ، فقال : " اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل ". فاستجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم له حتى إنه صار عالماً زخاراً ، لم يكن له نظير في ترجمة القرآن وتفسيره حتى اشتهر بترجمان القرآن . فقال ابن المسمى : " ابن عباس أعلم الناس ". وقال : " كان ابن عباس رضي الله عنه يسمى البحر من كثرة علمه ". وقال ابن طاوس عن أبيه : " كان ابن عباس من العلماء الراسخين في العلم ". وقال طلحة بن عبد الله : " لقد أعطي ابن عباس فهماً ولقنا وعلماً ، ما كانت أرى عمر بن الخطاب يقدم عليه ". ويقال إن ابن عمر يتهمنه بالجرأة على تفسير القرآن في بداية الأمر ، ولكن رجع عن قوله فيما بعد . ويقول عبد الله ابن دينار بهذه المناسبة : " إن رجلاً سأله ابن عمر عن قوله تعالى : كائناً رُّتقاً ففتقناهُمَا " ، فقال : إذهب إلى ذلك الشيخ ، فسله ، ثم تعال ، فأخبرني ، فذهب إلى ابن عباس ، فسألته ، فقال : كانت السماوات رتقاء لا تمطر والأرض رتقاء لا تبكي ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنباتات ، فرجع الرجل ، فأخبر ابن عمر ، فقال : لقد أوتى ابن عباس علمًا صدقًا هكذا . لقد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمت أنه أوتى علمًا " .<sup>١</sup>

\* الأستاذ المساعد : قسم اللغة العربية وأدابها ، جامعة كشمير ، حضرت بل ، سرينغر ، كشمير ، الهند .

<sup>١</sup> الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مكتبة مصر ، ص : ٤٤٦ ، ج : ٢ .

واجتهد ابن عباس في تعرف ما كان عند الصحابة من حديث وعلم ، وابتلي في سبيل ذلك إبتلاءً كبيراً ، ولقي ما لقيه من مصائب بابتسامة وافتتاح قلب . وكما هو يقول : " لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرجل من الأنصار : هلم ، فلنسأله أصحاب رسول الله ، فإنهم اليوم كثيرون . قال ، فقال الأنصار : وا عجبنا لك يا ابن عباس ! أترى الناس يفتقرن إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله ، من فيهم ؟ قال : فترك ذلك ، وأقبلت أسئل أصحاب رسول الله عن الحديث . فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فأتي بايه ، وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بايه ، تسفي الريح على التراب ، فيخرج ، فيرانني ، فيقول لي : يا ابن عم رسول الله ! ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلى فاتيك ؟ فأقول : لا ! أنا أحق أن آتيك ! فأسألة في الحديث ، فعاش ذلك الرجل الانصاري حتى رأني ، وقد اجتمع الناس حولي ليسألني ، فيقول : هذا الفتى كان أعقل مني " .

وكان عبد الله ابن عباس فقيهاً جليلاً . ويقول طاؤوس : لزمت هذا الغلام : يعني ابن عباس ، وترك الأكابر من أصحاب رسول الله ، إذا تدارؤوا في شيء ، صاروا إلى قول ابن عباس . وكذلك كان من فقهاء أصحاب رسول الله في حياته وبعد وفاته . ويقول بمناسبة ذلك عطاء ابن يسار : إن ابن عمر وعثمان كانوا يدعوان ابن عباس ، فيشير مع أهل البدر ، وكان يفتى في عهد عمر وعثمان حتى مات بالطائف سنة ثمان وسبعين<sup>٢</sup> . وكان أسلوبه في الفتوى أسلوباً يجمع بين النقل والعقل ، كما يقول عبد الله ابن يزيد : " كان ابن عباس إذا سُئل عن الأمر ، فإن كان في القرآن أخبر به ، وإن لم يكن في القرآن ، وكان عن رسول الله ، أخبر به ، فإن لم يكن في القرآن ولا عن رسول الله ، وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يكن في شيء من ذلك ، اجتهد رأيه " . وكذلك كان ابن عباس واسع الاطلاع ، فكان يعرف الشعر

<sup>١</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص : ٣٦٨ ، ج : ٢ .

<sup>٢</sup> نفس المصدر ، ص : ٣٦٧ ، ج : ٢ .

<sup>٣</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص : ٣٦٦ ، ج : ٢ .

والأنساب وأيام العرب والمغازي . وهو يعلم الناس جميع هذه العلوم . فاستفاد من بعض الصحابة ، واستفاد البعض منه . ويقول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : " كان ابن عباس قد ذات الناس بخصال : بعلم ما سبقه ، وفقه فيما احتاج إليه من رأيه ، وحلم وسيب ونائل . وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله منه ، ولا أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأي منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفرضية منه ، ولا أعلم بما مضى ولا أثقف رأياً فيما احتاج إليه منه . ولقد كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ، ويوماً التأويل ، ويوماً المغازي ، ويوماً الشعر ، ويوماً أيام العرب . وما رأيت عالماً قط جلس إليه إلا خضع له . وما رأيت سائلاً سأله وجد عنده " <sup>١</sup> . فاستفاد من منهله العلمي خلق كبير . وأشهر منهم مجاهد بن جبر الذي أكثر من روایة عنه في تفسير القرآن ، وعكراة مولاه وحامل علمه .

ف كانت أكثر حياته حياة علمية ، وقد عمر طويلاً ، وقد مات سنة ٧٨ من الهجرة عن نحو ثمان وسبعين عاماً . و خلال هذه المدة الطويلة لم يشتغل بالإمارة إلا قليلاً ، فاستعمله علي بن أبي طالب على البصرة ، فلم يزل حتى قتل علي . فاستخلف عبد الله بن الحارث على البصرة . ثم مضى ابن عباس إلى الحجاز حيث يقضي حياته الباقية منكباً على التعلم والتعليم . فيروي عن النبي صلى الله عليه وسلم والناس عنه ، والناس يستفونه فيفيتهم . هكذا كانت شخصيته العلمية شخصية متعددة العطاء في العلم والمعرفة .

#### شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه العلمية :

والعلم الرابع الذي نحن بصدد ترجمته العلمية هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم . ولد قبل العادة بعشرين سنين على الصحيح . وتربى في حجر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفارقه . وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوة تبوك ، وقد خلفه رسول الله ، فقال له علي يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان . فقال النبي له : ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون

<sup>١</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص : ٣٦٨ ، ج ٢ .

من موسى . وزوجه بنته فاطمة . وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد . ولما آخى النبي بين أصحابه ، قال له : أنت أخي . ومناقبه كثيرة . حتى قال الإمام أحمد : لم ينقل لأحد من الصحابة ما نقل لعلي بن أبي طالب . وكذلك نقل ضده كثير من المناقضات ، وسبب ذلك بعضبني أمية له ، وإفراط الرافضة في الحب له . فقد ولد له الرافضة مناقب موضوعة ، وهو غني عنها . وتتبع النسائي ما خص به من دون الصحابة ، فجمع من ذلك شيئاً كثيراً بأسانيد أكثرها جياد .

وأما شخصية علي بن أبي طالب العلمية - على حسب قول أحمد أمين - فهي شخصية أصعب ما يكون تصويراً ، دخلها من المبالغات والأكاذيب التي حيرت المؤرخ . فليس هناك من الشخصيات في ذلك العصر ما دار حوله الجدل ، وأفترط فيه المحبون والكارهون ، واختلف حوله المحتلقون . وتأسست من أجله المذاهب الدينية كالذى كان لشخصية علي ، فقد رروا عنه ٦٨٦ حدثاً مسندًا إلى رسول الله لم يصح منها إلا نحو خمسين ، ونسبوا إليه ديوان شعر ، ويقول المازنی إنه لم يصح بشيء من الشعر غير بيتين :

تلکم قریش تمنانی لتقتلنی فلا وربک ما برّوا ولا ظفرروا  
فإن هلكت فرهن ذمتی لهم بذات ودقین لا يعفو لها أثر  
ونسبوا إليه ما في نهج البلاغة ، وهو يشتمل على كثير من الخطب والأدعية والكتب والمواعظ والحكم . وقد شك في مجموعها النقاد قديماً وحديثاً كالصفدي وهوار ، واستوجب هذا الشك أمور : ما في بعضه من سجع منمق وصناعة لفظية ، لا تعرف لذلك العصر . هذا إلى ما فيه من معان دقيقة على أسلوب لم يعرف إلا في العصر العباسي . كما نسبوا إليه كتاباً في الجفر تذكر فيه الحوادث التي تحدث إلى انفراط العالم ، وحكاياته مع أبي الأسود الدؤلي في وضع النحو معروفة ومشهورة ، كل هذا ما يجعل من العسير على المؤرخ الناقد وصف شخصيته العلمية وصفاً يطمئن إليه<sup>١</sup> .

على كل حال إذا نحن رجعنا إلى كتب السير الموثوق بها كطبقات ابن سعد ، نرى أنه كان كذلك ذا عقل قضائي . وقد وله

<sup>١</sup> أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص : ١٤٩ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاة اليمن . وله آراء تثبت صحتها في مشاكل قضائية عديدة . كما يقول بنفسه : " يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قاضياً ، فقلت يا رسول الله : إنك ترسلني إلى قوم يسألني ولا علم لي بالقضاء . فوضع يده على صدري . وقال : إن الله سيهديك قلبك ويثبت لسانك ، فإذا قعد الخصم بين يديك ، فلا تقض حتى تسمع من الآخر كما سمعت الأول ، فإنه أحرى أن تبين لك القضاء . فما زلت قاضياً أو ما شِكَكت في قضاء بعد<sup>١</sup> . ويقول عبد الله : " كنا نتحدث أن من أقضى ابن أبي طالب ". فإنه يمتاز بعقل كبير ذي قضائي ، حتى قال سعيد ابن المسيب : " كان عمر يتغوز من معضلة ليس فيها أبو حسن " .

كذلك أنه كان أعلم بالقرآن ومعانيه وتفسيره ، حتى قال علي ابن أبي طالب بنفسه : والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت . إن ربي وهب لي قبلًا عقولاً ولساناً طلاقاً . وفي الحقيقة إنه كان أستاذ عبد الله بن عباس في علم التفسير ، فأخذ عنه كثيراً من الأقوال . وقام بعض من العلماء بالمقارنة بينهما ، فقالوا إن ابن عباس كان أعلمهما بالقرآن ، وكان علي أعلمهما بالمبهمات<sup>٢</sup> ، وقال ابن عباس : إذا جاءنا الثبت عن علي لم نعدل به<sup>٢</sup> .

ولم يزل علي في حياة النبي وبعده متصدياً لنصر العلم والفتيا حتى في مدة خلافته التي تقدر بنحو خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر . وقتل علي سنة ٤٠ للهجرة . واستفاد من علمه خلق كبير ، وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين وأشهرهم من الصحابة : ابن عباس ، وابن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وابن عمرو ، ومن التابعين طارق بن شهاب ، وعبد الرحمن بن الحarith بن هشام ، وعبد الله بن الحarith بن نوفل وغيرهم . هكذا كانت شخصية علي ابن أبي طالب العلمية شخصية ذات مطر غزير .

<sup>١</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥م ، ص ٣٣٧ ، ج ٣ .

<sup>٢</sup> الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، مكتبة مصر ، ص ٣٦٧ ، ج ٣ .

### شخصية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه العلمية :

والعلم الخامس الذي نحن نتحدث عن ترجمته العلمية هو عبد الله ابن مسعود . وهو من أصحاب النبي الذين لهم اليد الطولى في علم القرآن والسنة والفقه . وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إنك غلام معلم . وقال عنه عمر بن الخطاب : " كنيف ملي علمًا " . وجاء في طبقات لابن سعد ، لما قدم علي بن أبي طالب الكوفة ، أتاه نفر من أصحاب عبد الله ابن مسعود ، فسألهم عنه حتى رأوا أنه يمتحنهم ، قال ، فأنا أقول فيه مثل الذي قالوا أو أفضل .قرأ القرآن ، فأحل حلاله ، وحرم حرامه ، فقيه في الدين عالم بالسنة " <sup>١</sup> .

إن عبد الله بن مسعود كان من الذين أسلموا في الأوائل ، حتى قال أبو نعيم : أنه كان سادس ستة من أسلم ، وهاجر المجرتين : إلى الحبشة والمدينة . وشهد بدرًا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم . ولازم صحبته في جلوته وخلوته ، حتى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذنك على أن ترفع الحجاب ، وأن تسمع سوادي حتى أنهاك " . فإنه ، كما يقول القاسم بن عبد الرحمن : " كان يلبس رسول الله نعليه ، ثم يمشي أمامه بالعصا حتى إذا أتى مجلسه ، نزع نعليه ، فأدخلهما في ذراعيه ، وأعطاه العصا . فإذا أراد رسول الله أن يقوم أليسه نعليه ، ثم مشى أمامه بالعصا حتى يدخل الحجرة قبل رسول الله " <sup>٢</sup> . فسمح له رسول الله أن يدخل في بيته حين لم يسمع لغيره . فسمع من رسول الله ما سمعه من القرآن والحديث ورأى ما رأه من أفعال النبي وقضائه ، مما مكنه من فهم تعاليم الإسلام ومعاني القرآن وأعمال رسول الله حتى بزغت شمسه في علم القرآن والحديث والفقه ، وصار من كبار علماء الصحابة . وقال فيه أبو موسى الأشعري : " لا تسألوني عن شيئاً ، وهذا الخبر بين أظهركم " <sup>٣</sup> .

والعلم الذي يمتاز به عبد الله ابن مسعود هو علم القرآن وقراءاته : كما يقول ابن عيال : قال : أي القراءتين تعددن أولى . قال : قلنا : قراءة

<sup>١</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص ١٥٦ ، ج ٢ : ٣ .

<sup>٢</sup> نفس المصدر ، ص ١٥٢ ، ج ٣ : ٣ .

<sup>٣</sup> نفس المصدر ، ص ٣٤٣ ، ج ٢ : ٢ .

عبد الله ابن مسعود ، فقال : إن رسول الله كان يعرض عليه القرآن في كل رمضان مرة إلا العام الذي قبض فيه ، فإنه عرض عليه مرتين . فحضرها عبد الله ابن مسعود ، فشهاد ما نسخ منه وما بدل . كذلك أنه كان متضلعاً من تفسير القرآن ومعانيه . فيقول بنفسه : " ما نزلت سورة إلا أعلم فيما نزلت ، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل أو المطاييا لأتيته " <sup>١</sup> .

وكذلك كان جامع الحديث وحافظه ، فإنه يكثر من رواية الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه يتحرى ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم كتحري ابن عمر ، تخوفاً من الله وتورعاً في الدين ، وأنه يتتجنب من الإضافة والحدف في الحديث أو من النسبة إليه ما ليس منه . كما يقول علقة وهو خير تلاميذه وحامل علمه في الكوفة ومن طبقة التابعين : إن عبد الله مسعود كان يقوم قائماً كل عشية خمس ، فما سمعته يقول رسول الله غير مرة واحدة ، قال : فنظرت إليه وهو معتمد على عصا فنظرت إلى العصا تزعزع <sup>٢</sup> . ولكنه كان فقيهاً بارعاً ، يفتى الناس استقباطاً من القرآن والحديث أو بالرأي إذا لم يرد فيه نص من الكتاب والسنة . فهذه الميزة العلمية تميزه عن ابن عمر وعن مدربته .

بعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلّمهم الكتاب ويفقههم في الدين وكتب إليهم : إني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً وعبد الله ابن مسعود معلماً وزيراً . وإنهما من النجباء من أصحاب رسول الله ومن أصحاب بدر . وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم . فتعلموا منهما ، واقتدوا بهما وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسي <sup>٣</sup> . ف تكونت حوله مدرسة الكوفة ، ولزمه تلاميذ له ، يتعلمون منه العلم ويتأدبون بأدبه حتى قال فيهم علي بن أبي طالب : أصحاب عبد الله سرّ هذه القرية يعني الكوفة . فاستفاد من منهله العلمي خلق كبير حتى اشتهر منهم ستون شيخاً وتربيع من بين هؤلاء الستين ستة على عرش القضاء والفتوى بعد ابن

<sup>١</sup> نفس المصدر ، ص : ٣٤٢ ، ج : ٢ .

<sup>٢</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص : ١٥٦ ، ج : ٣ .

<sup>٣</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص : ٨ ، ج : ٦ .

مسعود . كما يقول إبراهيم التيمي : كان فينا ستون شيخاً من أصحاب عبد الله . وكان أصحاب عبد الله الذين يقرؤون ويفتون ستة - وهم - علامة والأسود ومسروق وعبيدة والحارث ابن قيس وعمرو بن شرحبيل<sup>١</sup> . على الجملة إنه كان أعلم بالقرآن وبعلومه وبمعانيه وأثقف الرأي وأفقه في الفقه حتى قال عنه عمر بن الخطاب<sup>٢</sup> : " كنيف ملئ علمًا أو فقهاً " . هكذا كانت شخصيته العلمية شخصية متعددة العطاء .

#### شخصية زيد بن ثابت رضي الله عنه العلمية :

العلم السادس الذي نحن نذكر ترجمته العلمية هو زيد بن ثابت . وكان أعلم بالقرآن وبعلومه من التفسير والقراءة وبالفرائض والقضاء . وكان من كتاب الوحي والعلماء الراسخين . وكان واسع العلم والاطلاع ، تعلم السريانية والعبرية . وكان ذا عقل رياضي ، فكان أعلم بالفرائض . ولاه رسول الله قسمة الفنائم في اليرموك . وكانت له رياضة في القضاء والفتوى بالمدينة . وكان واحداً من الأربعة الذين جمعوا القرآن في عهد رسول الله . وكذلك كان من الذين أمرهم أبو بكر في خلافته بجمع القرآن . وقال النبي فيه : أفرض أمتى زيد بن ثابت<sup>٣</sup> . وقال عمر بالجارية : " من كان يريد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت<sup>٤</sup> . وقال سليمان بن يسار ، وهو من التابعين الكبار : " ما كان عمر وعثمان يقدمان على زيد بن ثابت أحداً في القضاء والفرائض والقراءة "<sup>٥</sup> .

أسلم زيد بن ثابت قبل البدر ، ولكن كان صغيراً ، لم يمنحه رسول الله الإجازة في البدر ولا أحد ، وقد أذن له أول مرة في الخندق . ولكن بالرغم من ذلك إنه أدى خدمات جليلة للإسلام . فاتخذه رسول الله كاتباً لكتابة الوحي والرسائل التي يرسلها إلى الأمراء . وأمره بتعلم اللغة السريانية واللغة العبرية . فتعلمها بسرعة حتى تحقق فيهما . كما يقول بنفسه : " أتى النبي مقدمه المدينة ، فقيل هذا منبني النجار ، وقدقرأ سبع عشرة سورة . فقرأت عليه ، فأعجبه ذلك . فقال تعلم كتاب يهود . فإني ما آمنهم على كتابي . ففعلت بما مضى لي نصف شهر حتى

<sup>١</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص ١٠ ، ج ٦ .

<sup>٢</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص ٣٦١ ، ج ٢ .

خذقه . فكنت أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأته له " . وجاء في رواية من طريق ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال : قال لي النبي : إني أكتب إلى قوم ، وقد أخاف أن يزدروها علىٰ أو ينقصوا ، فتعلم السريانية . فتعلمتها في سبعة عشر يوماً " <sup>١</sup> .

وكذلك إنه يمتاز بالقدرة الفائقة على استخراج الأحكام من الكتاب والسنة ومن الرأي ، إذا لم يكن كتاب ولا سنة . هذا هو السبب الذي حمل عمر بن الخطاب أن يستعمله على القضاء ويفرض له رزقاً ، وأن يمسكه في المدينة وأن يستخلفه في كل سفر يسافره . ويقول عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه : " كان عمر يستخلف زيد بن ثابت في كل سفر يسافره ، وكان يفرق الناس البلدان ، ويوجهه في الأمور المهمة ، ويطلب إليه الرجال المسئون - الناهيون - فيقال له زيد بن ثابت ، فيقول : لم يسقط عليٰ مكان زيد ، ولكن أهل البلد يحتاجون إليه فيما يحدث لهم ما لا يجدون غيره " <sup>٢</sup> . وقال قبيصه : " كان زيد بن ثابت مترئساً بالمدينة في القضاء والفتوى القراءة والفرائض في عهد عمر وعثمان وعلى في مقامه بالمدينة . وبعد ذلك خمس سنين ، حتى ولَى معاوية سنة أربعين . فكان كذلك أيضاً حتى توفي زيد سنة خمس وأربعين " .

على الجملة فإن زيد بن ثابت كان أعلم بالقرآن والقراءة والفرائض والقضاء ، وأنتفق في الرأي وأفقه بالفتوى . فاستفاد من علمه خلق كبير . وأشارت بهم سعيد بن المسيب ، وهو خير تلاميذه يحفظ قضياته وفتاويه ولا يفضل قوله على أقواله . وهو يقول عن أستاذه : " إن زيد بن ثابت أعلم الناس بما تقدمه من قضاء ، وأبصرهم بما يرد عليه مما لم يسمع فيه شيئاً . ثم يقول : لا أعلم لزيد بن ثابت قوله لا يعمل به ، مجمع عليه في الشرق والغرب ، أو يعمل به أهل مصر " . هكذا كانت شخصيته العلمية متعددة العطاء وافرة الفائدة ، ساهمت على نضج مدرسة المدينة ونموها حتى توجت بمالك بن أنس إمام دار الهجرة .  
(للبحث صلة)

<sup>١</sup> أحمد أمين ، فجر الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص : ١٤٢ .

<sup>٢</sup> ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، عام ١٩٨٥ م ، ص : ٣٦١ ، ج ٢ .

# حقوق كبار السن في الإسلام

(الحلقة الأولى)

الأستاذ رفيع الدين حنيف القاسمي \*

إن من المكارم العظيمة ، والفضائل الجسيمة البر والإحسان إلى الضعفاء ، ورعاية حقوقهم ، والقيام بواجباتهم ، والتعاهد بمشاكلهم ، والسعى في إزالة المنغصات والهموم والأحزان عن حياتهم ، إن هذا من أعظم أسباب التيسير والبركة ، وانصراف الفتنة والمحن والبلايا والرزايا عن العبد ، وسبب للخيرات والبركات المتتاليات عليه في دنياه وعقابه ، لقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما تُنصررون بضعفائكم " <sup>١</sup> . وقال صلى الله عليه وسلم : " أبغوني في ضعفائكم ، فإنما ترزقون وتتصرون بضعفائكم " <sup>٢</sup> . فالمسنون هم الضعفاء في المجتمع الإنساني ؛ لأن مرحلة الكبر ضعف عام ، بحيث تظهر بعض التغيرات على جسم الإنسان في حالة تقدمه في السن ، مثل تجدد الجلد وجفافه ، وثقل في السمع ، وضعف في البصر والشم والحواس بشكل عام ، وبطء الحركة ، وتغير لون الشعر ، وما يحدث من ضعف في العظام ، وانخفاض لحرارة الجسم ، وضعف الذاكرة والنسيان ، ويزور هذه التغيرات يتطلب الرعاية الخاصة بهم ، وهنا نذكر بعض الفضائل لـ كبار السن في الإسلام ، وما شرع لهم الإسلام من حقوق وواجبات . ولذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم وهو يرشدنا إلى حق الكبير : " من لم يرحم صفيRNA ، ويعرف حق كبارنا فليس منا " <sup>٣</sup> .

## فضل الكبير :

تضارفت الأحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الخير مع الأكابر ، والبركة مع كبار السن ، وإنما المؤمن لا يزداد في عمره إلا يكون خيرا له ، إضافة إلى أن المسن المؤمن له مكانة خاصة

\* وادي مصطفى ، شاهين نفر ، حيدرآباد ، الهند .

١. مستند البزار ، حدث : ١١٥٩ .

٢. سنن أبي داود ، باب في الانتصار برذل الخيل والضعفة ، حدث : ٢٥٩٤ .

٣. الأدب المفرد ، باب فضل الكبير ، حدث : ٣٥٣ .

تتمثل في تجاوز سيئاته وشفاعته لأهل بيته ، فلقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يتنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه إنه إذا مات أحدهم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرا " <sup>١</sup> .

ومن أنس رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه قال : " لا أبئكم بخياركم ، قالوا : بل يا رسول الله ، قال : خياركم أطولكم أعماراً إذا سددوا " <sup>٢</sup> .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " خياركم أطولكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً " <sup>٣</sup> .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الخير مع أكابركم " وفي رواية : " البركة مع أكابركم " <sup>٤</sup> .

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من معمري عمر في الإسلام أربعين سنة إلا دفع الله عنه أنواع البلاء : الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ الخمسين هون الله عليه الحساب ، فإذا بلغ الستين رزقه الله الإنابة إلى الله بما يحب الله ، فإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء ، فإذا بلغ الثمانين كتب حسناته ومحيت سيئاته ، فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وكان أسير الله في أرضه ، وشفع في أهل بيته <sup>٥</sup> .

كما تدين تدان :

فإذا احترمنا الكبير ، ورعينا حقوقه ، يسر الله تعالى لنا في كبارنا من يرعى حقوقنا ، جزء من جنس إحساننا ، وسيأتي علينا يوم نكون فيه كباراً مسناً ، ضعيف البدن ، والحواس ، ونكون في حاجة

<sup>١</sup> مسلم ، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به ، حدث : ٢٦٨٢ .

<sup>٢</sup> المستدرك للحاكم ، كتاب الجنائز ، حدث : ١٢٥٥ . وقال الحاكم صحيح على شرط الشيوخين .

<sup>٣</sup> مسند أحمد ، مسند أبي هريرة ، حدث : ٧٢١٢ ، وقال البيهقي : رواه أحمد ورواه رجال الصحيح .

<sup>٤</sup> مجمع الزوائد ، باب إكرام الكريم ، حدث : ١٢٦١٨ ، يقول البيهقي : رواه البزار والطبراني في الأوسط إلا أنه قال : " البركة مع أكابركم " وفي إسناد البزار : نعيم بن حماد ، وثقة جماعة ، وفيه ضعف ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

<sup>٥</sup> مسند أبي يعلى ، جعفر بن عمرو بن أمية عن أنس ، حدث : ٤٢٤٩ ، وقال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف .

إلى من يساعدنا ويراعينا ، وإن كنا مضيئين حقوق الناس في شبابنا ، فيضيئ الشباب حقوقنا في كبرنا .

لأن الله عز وجل يقول : ( هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ) ( سورة الرحمن : ٦٠ ) وفي مقابل ذلك ( ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الدِّينِ أَسَأَعُوا أَسْوَى ) ( الروم : ١٠ ) فإن جزاء الإحسان ، والإساءة جزاؤها الإساءة ، ولذا جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم - وفي سنته كلام - أنه قال : " من أهان ذا شيبة لم يمت حتى يبعث الله عليه من يهين شبيهه إذا شاب " .

وفي رواية عن أنس مرفوعاً بلفظ : " ما أكرم شاب شيخاً لسنه إلا قيَضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَكْرَمُهُ عِنْدَ سَنَتِهِ " . فهذا الحديث يبين أن إحسان الشباب للشيخ يكون سبباً لأن يقيَضَ اللَّهُ لَهُ مِنْ يَكْرَمُهُ عِنْدَ كَبْرِهِ ، ومن العلماء من قال : إن في هذا الحديث دليلاً على إطالة عمر الشاب الذي يكرمه المسنون " .

**حقوق الكبير،  
توقيره وإكرامه :**

إن من حقوق الإسلام في حق الكبير : وهو توقيره وإكرامه ، بأن تكون له مكانة في النفوس ، ومنزلة في القلوب ، إن من يوقد الكبير فيمكن أن يقوم بسائر حقوقه ، وجميع واجباته ، وكان ذلك من هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليه ، وجعله من هديه وسماته وصفاته .

فقد أوجب نبينا صلى الله عليه وسلم احترام كبار السن والسعى في خدمتهم : فروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال : جاء شيخ يريد النبي صلى الله عليه وسلم فأبطن القوم عنه أن يوسعوا له ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبارنا ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر " .

كما أورد الهيثمي عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أتاكم كبار قوم فأكرموه " .

<sup>١</sup> العمر والشيب لابن أبي الدنيا ، حديث : ١٤ ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، الطبعة الأولى : ١٤١٢ م.

<sup>٢</sup> جامع الترمذى ، باب ما جاء في إجلال الكبير ، حديث : ٢٠٢٢ .

<sup>٣</sup> ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ٥٧٧/٢ ، دار الباز ، مكة المكرمة .

<sup>٤</sup> سنن الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الصبيان ، حديث : ١٩١ .  
<sup>٥</sup> سنن الترمذى ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الصبيان ، حديث : ١٩١٩ .

**طيب معاملته :**

إن من واجبات الكبير في الإسلام أن نحسن السلوك معه ، نحسن الخطاب وجميل الإكرام ، وطيب الكلام ، وسديد المقال ، والتودد إليه ؛ فإن من يكرم الكبير ويحسن الخطاب به فهو في الأصل إجلال من الله عز وجل .

فقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم " .

وفي رواية عن ابن عمر موقوفاً : عن ابن عمر ، قال : " إن من أعظم إجلال الله عز وجل إكرام الإمام المقسط وذي الشيبة في الإسلام .

**بدوء بالسلام :**

إن من حقوق كبير السن إذا لقيناه نبدأ بالسلام من غير انتظار السلام منه احتراماً وتقديراً له ، بل نسارع ونبادر بالسلام عليه بكل أدب ووقار ، واحترام وإجلال ، بل بكل معاني التوقير والتعظيم ، بل نراعي كبر سنّه في السلام بحيث يسمع صوته ولا يؤذيه .

فقد جاء في الحديث النبوى الشريف :

" سلم الصغير على الكبير ، والراكب على الماشي " .

**حسن خطابه :**

وإن من حقوق كبير السن إذا حدثنا كبير السن نناديه بألطف خطاب ، وأجمل كلام ، وألين بيان نراعي فيه احترامه وتوقيره ، وقدره ومكانته ، بأن نخاطبه بـ " العم " وغيره من الخطابات التي تدل على قدره ومكانته ومنزلته في المجتمع بكبر سنّه .

فعن أبي أمامة بن سهل : قال : صلينا مع عمر بن العزيز الظهر ، ثم خرجنا حتى دخلنا على أنس بن مالك فوجدناه يصلى العصر ، فقلت : يا عم ! ما هذه الصلاة التي صليت ؟ قال : العصر ، وهذه صلاة رسول الله التي كنا نصلي معه .

عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه قال : بينما أنا واقف في الصف يوم

<sup>١</sup> سنن أبي ماجة ، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ، حديث : ٣٧١٢ .

<sup>٢</sup> شعب الإيمان ، في إفراد المصحف للقرآن ، حديث : ٢٤٢٢ .

<sup>٣</sup> باب تسلیم القليل على الكثير ، حديث : ٦٢٣١ .

<sup>٤</sup> البخاري ، باب وقت العصر ، حديث : ٥٤٩ .

بدر ، نظرت عن يميني وشمالى ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت لو كنت بين أصلع منها ، فغمزني أحدهما ، فقال : يا عم ! هل تعرف أبا جهل ؟ قال : قلت : نعم ، وما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال : أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأجل منا .

**تقديمه في الكلام :**

إن من حقوق الكبير في السن أن نقدمه في الكلام في المجالس ، ونقدمه في الطعام ، والشراب والدخول والخروج .

فقد ورد في الحديث النبوى الشريف : عن سهل بن أبي حثمة ، قال : انطلق عبد الله بن سهل ، ومحىصة بن مسعود بن زيد ، إلى خير وهي يومئذ صلح ، فتفرقا فأتى محىصة إلى عبد الله بن سهل وهو يت shamط في دمه قتيلاً ، فدفعه ثم قدم المدينة ، فانطلق عبد الرحمن بن سهل ، ومحىصة ، ومحىصة ابن مسعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فذهب عبد الرحمن يتكلم ، فقال : (كبير كبير) وهو أحدث القوم ، فسكت فتكلما .

عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أراني أتسوك بسوالك ، فجاءني رجالان ، أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر منها ، فقيل لي : كبير ، فدفعته إلى الأكبر منها " .  
وكان لنا قدوة وأسوة في أكابرنا وأمجادنا ، لأن شباب الصحابة والتلابين كانوا في غاية الأدب ، وفي غاية الاحترام للكبار . والتوفير والتقدير لهم ، والقيام بحقوقهم .

ومن النماذج على ذلك ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً لأصحابه : " عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي فوق الناس في شجر البوادي قال عبد الله : ووقي في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله قال : " هي النخلة " .

<sup>١</sup> البخاري ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ، حدث : ١٧٥٢ .

<sup>٢</sup> البخاري ، باب المودعة والمصالحة ، حدث : ٣١٧٣ .

<sup>٣</sup> البخاري ، باب دفع السواك إلى الأكبر ، حدث : ٢٤٦ .

<sup>٤</sup> البخاري ، باب قول المحدث ، حدثنا ، وأخبرنا ، وأتبانا ، حدث : ٦١ .

## الدعاء له :

وإن من إجلال الكبير وحقه علينا أن ندعوه بطول العمر ، والازدياد في طاعة الله ، والتوفيق بالسداد والصلاح ، والاحتفاظ من كل مكروه ، والتمتع بالصحة والعافية ، وحسن الخاتمة ، وحيث الله عز وجل الأبناء بالدعاء لهم في حياتهم وبعد مماتهم (وقل رب ارحمهم كما ربياني صغيراً) (سورة الإسراء : ٢٤).

لأن خير الناس بموجب الحديث : عن عبد الله بن بسر ، أن أعرابياً قال : يا رسول الله ! من خير الناس ؟ قال : " من طال عمره ، وحسن عمله " .

بل جاء في حديث آخر : إن الله يصفي من عباده بعضهم بإطالة العمر وإحيائهم في عافية إلى أن يقبض أرواحهم ، فروي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله عباداً يضن بهم عن القتل ، يطيل أعمارهم في حسن العمل ، ويحسن أرزاقهم ، ويحببهم في عافية ، ويقبض أرواحهم في عافية على الفرش ، فيعطيهم منازل الشهداء " .

لأن من طال عمره ازداد علمه ، وإنابته ورجوعه إلى الله عز وجل ؛ لأن الشباب شعبة من الجنون ، فيزداد الرجل في الشباب في الشهوات واللذات ، والشيخوخة موجب للخير والبركة ، فلما دنا العبد نحو الشيخوخة توجه إلى الله ، فيذكر الله قياماً وقعوداً وعلى جنبه ، ويحمده ، ويسبحه ، وبهله ، ويكبره كلما سُنحت له الفرصة .

وقيل : إن سليمان بن عبد الملك دخل مرة المسجد ، فوجد في المسجد رجلاً كبير السن ، فسلم عليه ، وقال : يا فلان ! تحب أن تموت ؟ قال : لا ، ولم ؟ قال : ذهب الشباب وشره ، وجاء الكبير وخيره ، فأنا إذا قمت قلت : باسم الله ، وإذا قعدت قلت : الحمد لله ، فأنا أحب أن يبقى لي هذا " .

(للحديث بقية)

<sup>١</sup> الترمذى ، باب ما جاء في طویل العمر للمؤمن ، حدیث : ٢٢٢٩.

<sup>٢</sup> المعجم الكبير للطبراني : باب ، حدیث : ١٠٣٧١ .

<sup>٣</sup> العمر والشیب لابن أبي الدنيا ، حدیث : ٢٩ ، مکتبة الرشید ، الرياض ، الطبعة الأولى : ١٤١٢م .

## رحمت للعالمين : مؤلف هام حول سيرة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم

\* الأخ مشتاق عالم الندوى

قد ألفت إلى الآن ألف من الكتب في موضوع السيرة النبوية والتي تزخر بها المكتبات العالمية والإسلامية عبر العالم ولا يزال العمل على تأليف الكتب حول موضوعات السيرة متواصلًا وهي كما قال عنها "مارجليوث" : إن السلسلة الذهبية لتأليف الكتب في موضوعات السيرة النبوية لن تقطع أبداً وسوف لا يزال كاتبها يتشرف ويعتز بإسهامه فيها<sup>١</sup>. وبالفعل لم تقطع هذه السلسة قط إذ ما زال المسلمون منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا يعتنون بسيرة نبيهم ومختلف جوانبها تأليفاً وتصنيفاً وتحقيقاً ونشرها وهم مدفوعون في ذلك بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ جعله الله قدوة للبشرية وأعطى له مكانة الشفاعة والدرجة الرفيعة وجعل اتباعه من محبته تعالى حيث قال : ( قل إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَبْعُونِي يُحِبِّيكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ )<sup>٢</sup>. فتسابق المسلمين في إبراز محسان نبيهم ونشر سيرته العطرة الممتلئة في أقواله وأفعاله وأخلاقه الكريمة حتى أصبحت السيرة أكثر فنون الكتابة تداولاً ونشرًا في العالم كله . كما أن كتابة السيرة النبوية لم تقتصر على لغة دون غيرها بل تكرمت معظم لغات العالم بتناول سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم ومن بينها لغة "أردو" التي تحظى بامتلاك بعض أهم وأوثق الكتب في هذا الموضوع والتي ألفها علماء جهابذة من إقليم الهند والتي لا غنى عنها لباحث ودارس لسيرة النبوية .

عن كتاب "رحمت للعالمين" :

يعد هذا الكتاب من أشهر المؤلفات في مجال السيرة النبوية باللغة

\* باحث في قسم اللغة العربية وأدابها ، الجامعة الملة الإسلامية ، نيودلهي .  
١- مرجليوث ، ديفيد صمويل ، محمد صلى الله عليه وسلم ونهضة الإسلام ، ١٩٠٥م ، مقدمة الكتاب ، ص : ١ .  
٢- سورة آل عمران ، الآية : ٢١ .

الأردية وأكثرها قبولاً ومتداولاً بين العلماء والباحثين في شبه القارة الهندية ، ألهه العلامة القاضي محمد سليمان سلمان المنصورفوري في الربع الأول من القرن العشرين في ثلاثة مجلدات بالحجم المتوسط ، ويبلغ عدد صفحاتها إلى ما يقارب ألف صفحة<sup>١</sup> . ويفرد هذا الكتاب عما سبقه من كتب السيرة بعده أوجه فهو نتاج جهود مضنية ومثابرة جدية طوال ثلاثة وعشرين عاماً قضتها المؤلف عاكفاً على تأليف هذا الكتاب الفريد بالإضافة إلى خزانة كتب السيرة النبوية . كما أنه يتتصدر قائمة تلك الكتب في موضوع السيرة التي روعيت فيها صحة الحقائق والبيان والتي أقربها كبار الكتاب والعلماء والباحثين واعتمدوا عليها في كتاباتهم .

إنه من الكتب الأوائل التي تم تأليفها في موضوع السيرة النبوية باللغة الأردية واستفاد منه معظم كتاب السيرة الذين أتوا من بعده وأرادوا تأليف كتاب في هذا الموضوع . ونظراً لما كان الكتاب يحمل من مرتبة عظيمة في الأوساط العلمية ، أعرب المولوي إنشاء الله خان ، رئيس تحرير جريدة " وطن " الشهيرة ، الصادرة من مدينة لاهور ، وذلك لما سمع أن العلامة شibli النعmani مقبل على تأليف كتاب في السيرة النبوية ، عن رأيه قائلاً إنه : " سبق أن ألف القاضي سليمان المنصورفوري كتاباً في السيرة ولم تعد الحاجة إلى تأليف مثله الآن لأنه لا يمكن إضافة شيء ذي قيمة إلى ما أتى به القاضي المنصورفوري "<sup>٢</sup> .

#### الكتاب من حيث المحتوى :

يقع هذا الكتاب في ثلاثة مجلدات ويبدأ المجلد الأول منه بمقدمة بلية مساعدة توفر خلفيّة واضحة عن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ثم يتعرض لبيان سيرة النبي ومسيرته الدعوية وجهوده في نشر الدين وتتفيد أحكامه بشيء من الشمول والتفصيل . وحيط هذا المجلد بأهم موضوعات السيرة ولكن كان كاملاً في نفسه حتى ولو لم تصدر المجلدات اللاحقة من الكتاب . صدر هذا الجزء من الكتاب في عام ١٩١٢ م .  
وينتهي المجلد الثاني بذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم

<sup>١</sup> من مطبوعات " مطبعة اعتقاد " دلهي ، الهند ، عام ١٩٨١ م .

<sup>٢</sup> انظر المقالة : قاضي مجر سليمان منصورفوري اور ان کی کتب سیرت لمحمد ساجد صدیقی ، جريدة " الواقعه " ، کراتشي ، العدد (٦/٥) ، أغسطس - سپتمبر ٢٠١٢ م .

عليه السلام وبذل المؤلف جهوداً كبيرة في الوصول إلى ذلك مراعياً في ذلك المنهج العلمي في البحث والتحقيق . وقد ورد في أثناء ذلك بيان لحياة أشخاص مرموقين من قبيلة قريش بالإيجاز . وفيه بيان مفصل عن السرايا والمعاري التي حصلت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والتي يبلغ إجمالي عددها إلى ٨٢ . كما أن المؤلف قام بتنفيذ الأفكار الخاطئة والمضللة للمستشرقين حول كثرة زوجات النبي فقدم سيرة لأمهات المؤمنين بالإيجاز . في الباب الخامس ذكر المؤلف أوجه الشبه والمماثلة بين حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحياة الأنبياء الآخرين وما ورد من أدعيَة منهم في حقه . وفي الباب السادس وردت دلائل ومحاجات كونه رحمة للعلميين بغاية من الدقة والجمال وفي ضوء ما ورد في الكتب السماوية الأخرى ، وفيه رد على ما روج المستشرقون من الاتهامات والأفكار المسمومة للتخلص من النبي ودين الإسلام . صدر هذا الجزء في عام ١٩١٨ م .

أما المجلد الثالث فإنه يختص بمميزات وخصائص اختص بها الله النبي صلى الله عليه وسلم حيث ذكرت العجائب والمعجزات والخصائص في ضوء القرآن الكريم والكتب السابقة والأحاديث . كما ذكرت حالات عدد من الأنبياء الآخرين بالإيجاز . وصدر هذا المجلد بعد مماته . ويتضمن الكتاب في تضاعيفه ردوداً علمية قاطعة على ما ورد من الأفكار الخاطئة والمضللة للمستشرقين وغيرهم تجاه الإسلام ونبيه بحيث ينكشف زيف تلك المزاعم وتتضح حقائق الإسلام في صورتها الصافية النقية .

وما يميز هذا الكتاب عن غيره من الكتب التي سبقته في الموضوع هو احتواه على معلومات الأديان الأخرى من النصرانية واليهودية والهندوسية وما إلى ذلك ، واستقاء تلك المعلومات من مصادرها الأصلية مثل التوراة والإنجيل والزيور وكتب الفيدا وغيرها وطرحها بأسلوب علمي مقنع . كما أن اطلاع المؤلف على مختلف العلوم والفنون وثقافته الواسعة وشفقه العميق بتاريخ الأمم والأديان وقدرته على مراجعة المصادر والمراجع بلغتها الأصلية كالإنجليزية والهندية والفارسية والأردية والعبرانية تزيد من قيمة الكتاب ومصداقيته .

### اللغة والأسلوب :

تميز لغة الكتاب بالوضوح والسلامة واستخدام المفردات المناسبة

للموضوع ، كما أن أسلوب الكتاب يتميز بالسلسة وخلوه من الإطناب الممل والإيجاز المقل ، وبالرزانة والاحتراس الشديد كأنه ينبع عن قلب نابض مفعم بالإيمان وحب النبي عليه الصلاة والسلام ، فينفذ إلى داخل النفوس والقلوب بقوة بيانه السحرية ويترك تأثيرا عميقا في الأذهان يشعر به المرء طول حياته . أعرب سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن على الندوى عن انطباعه حول هذا الكتاب قائلا : " ذات مرة وقع نظري على اسم كتاب "رحمة للعالمين" في قائمة مكتبة شibli التجارية في لكهنو للقاضي محمد سليمان المنصورفوري ، ووجدت في نفسي فور قراءة اسمه انجذاباً وشوقاً إليه ، فطلبت الكتاب بالبريد ، وجاء الكتاب ، ولم يكن عند والدتي ما تدفع به ثمن الكتاب ، فأعتذر عن تسلم الكتاب ، فلجمأت إلى البكاء وهو ملجاً للأطفال الأخير والشفيع الذي لا يرد شفاعته ، وتطوع أحد الأقارب من الشيوخ فدفع الثمن حتى تسلمت الكتاب ، وقرأته في شفف وشوق وانقطاع إليه وتفان فيه ، وقل ما كان لكتاب آخر من التأثير في قلبي وعقمي مثل ما كان لهذا الكتاب ، فكان إخلاص المؤلف وإيمانه ، وطرازه الخاص في الدعوة والتربيـة ، وبساطة حوادث السيرة وجمالها وتأثيرها الذي نفذ منه إلى جسمـي وروحـي تيار كهربائي ، وأرى أن هذا الكتاب من الكتب التي لها مـنة جـسيـمة علىـ ، وأنا دائم الترحم على المؤلف والدعاء له بالقبول عند الله تعالى ورفع الدرجات<sup>١</sup> . وهو يعتبر هذا الكتاب أغلـى الأشيـاء عنـده وجزـءاً من الإيمـان وأقرـ في قـراءـته من اللـذـةـ التي تستـغـنيـ عنـ بيانـهاـ الكلـماتـ<sup>٢</sup> .

#### ثناء العلماء الآخرين على الكتاب

علاوة على ما سجل سماحة الشيخ الندوى من انطباعات وملاحظات حول الكتاب ، قد أتشى عليه عدد كبير من العلماء الكبار من أمثال العلامة سيد سليمان الندوى رحمـهـ اللهـ الذي قال : " لو وقع نظـريـ علىـ الكتابـ "رحـمةـ للـعالـمـينـ" قبلـ إـقدـاميـ علىـ تـأـلـيفـ كتابـ

<sup>١</sup> الندوى ، أبو الحسن علي ، في مسيرة الحياة ، دمشق : دار القلم ، ط / ١ ، عام ١٩٨٧ .

<sup>٢</sup> انظر : " شخصيات وكتب " للمؤلف نفسه ، الصفحات ١٣٩ - ١٤٥ (الجزء ) الكتب التي عشت فيها " من الكتاب ) ، دمشق : دار القلم ، ط / ١ عام ١٩٩٠ .

"سيرة النبي" لما شعرت بحاجة إلى أن يؤلف كتاب آخر في السيرة<sup>١</sup>. وكذلك قال الآخرون مما يدل على ما يحتل الكتاب من منزلة رفيعة في قلوب أهل العلم والعلماء بمحاتوياته القيمة وسماته المتميزة ، بما في ذلك إضافة موضوعات أخرى جديدة في مجال السيرة النبوية ، وبالتزام مؤلفه لمستوى أعلى من التوثيق العلمي .

#### ترجمة حياة المؤلف :

هو محمد سليمان بن قاضي أحمد شاه بن قاضي باقي بالله بن قاضي معز الدين أحمد ، ولد في عام ١٢٨٤هـ المصادف ١٨٦٧م في قرية منصور فور مديرية باتياله ( ولاية بنجاب )<sup>٢</sup> . ونشأ في أسرة كانت تتصف بالعلم والورع والتقوى والصدق والإخلاص في سبيل الله ولها مواقف مشهودة ومآثر محمودة في نشر العلم والدين . عمل جده الأكبر بير محمد بالقضاء في عهد سلاطين المغول بدهلي ، وهكذا تلقت الأسرة بـ " القاضي " .

اهتم والده ب التربية ابنه تربية دينية فعلمته القرآن واللغة العربية ، كما أن العلامة تتلمذ على الشيخ العلام عبد العزيز واستفاد منه في اللغة العربية كما أنه تعلم الفارسية من منشى سكهن لال ، الذي كان يدرس الفلسفة في كلية ماهندرا في باتياله ( ولاية بنجاب ) . حصل القاضي المنصور فوري على درجة منشي فاضل من نفس الكلية في عام ١٨٨٤م وفاق على زملائه وحاز على المرتبة الأولى بين طلاب الكلية مما أكسب له سمعة طيبة على مستوى المنطقة . توظف في دائرة التعليم الرسمية وهو ما زال فتى لم ينähr ١٧ سنة وارتقى في وظيفته وعمل بالقضاء حتى استقال منه عام ١٩٢٤م .

كان رحمه الله عالماً جليلاً متبحراً في عدد من اللغات العالمية الحية ، مثل الأردية والفارسية والعربية والهندية والإنجليزية والعبرانية وما إلى ذلك ، كما أنه كان متضلعًا في أكثر العلوم الإسلامية والعصرية كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ والسياسة ومقارنة الأديان والمناظرة ،

<sup>١</sup> محمد أسلم ، قاضي ، تحریک المحدث تاریخ کے آئینے میں ، نیو دہلی : الکتاب اٹر نیشنل ، ص ۳۹۹ .

<sup>٢</sup> بهتی ، محمد إسحاق ، تذكرة قاضي محمد سليمان منصور پوری ، نیو دہلی : الکتاب اٹر نیشنل ، ص ٦٥ .

وعارفاً بتاريخ الأمم والأديان ، كان كاتباً بارعاً وخطيباً متفوهاً وشاعراً موهوباً في لغتي الفارسية والأردية . وقد أثبت علو كعبه في كثير من العلوم الشرعية التي جعلها القاضي مسرحاً لأعماله وأقرب به الكثير من أقرانه ومعاصريه . وتمثل في هذا المقام ما قاله العلامة السيد سليمان الندوى رحمة الله في شأنه إنه : " كان العلامة المنصورفوري جاماً بين العلم والعمل ، والزهد والكمال ، والفضل والورع ، متمتعاً بتقد المخاطر ووفر العقل ، معتدلاً في نظرته إلى القديم والجديد ، ذا بصيرة تامة وإدراك واسع باللغة العربية وعلوم الدين ، مطلعًا على محتويات العهد القديم والعهد الجديد وأطلاع الناقد البصير الخبير ، راغباً في الحوار مع غير المسلمين ، ملتزماً بالزانة والوقار في المناظرات مع أصحاب الديانات والفرق . وكان يحترم كثيراً الأئمة والمجتهدين ويقدر جهودهم وأعمالهم العلمية " <sup>١</sup> . فهذه شهادة من أحد معاصريه الذي كان له باع طويل في شتى ميادين العلم والمعرفة والثقافة والبحث والتحقيق .

#### مؤلفات القاضي المنصورفوري :

ألف القاضي المنصورفوري حوالي ٨٠ كتاباً في مختلف المواضيع الإسلامية وأثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته القيمة التي لا تزال موضع إعجاب الباحثين والمتخصصين وأهل العلم ويعتبر كتاب " رحمة للعالمين " من أشهر تلك المؤلفات والتي ترجمت إلى عدة لغات حية توسيع بها نطاق الاستفادة منه وتکاثر عدد المراجعين له من الدارسين والباحثين في جميع أنحاء العالم .

#### الترجمة العربية لكتاب " رحمة للعالمين " :

توفر ترجمتان عربيتان لهذا الكتاب قام بأولهما الدكتور مقتدى حسن ياسين الأزهري واشتراك معه الأستاذ عبد السلام عين الحق السلفي في إكمال الجزء الثاني من الكتاب وعنيت الدار السلفية ، بومباي (الهند) بترجمة ونشر هذا الكتاب المترجم إلى العربية والتزمت بإصداره في حلقة قشيبة رائعة لأول مرة في عام ١٩٨٩ م . وأخرى هاتين الترجمتين قام بها الأستاذ سمير عبد الحميد إبراهيم ، أستاذ بجامعة الأمام محمد بن

<sup>١</sup> ياد رفیگان ( ذکری المرتحلین ) ، ص : ١٠٦ بالأردية ، نقلًا عن : رحمة للعالمين ، ترجمة الدكتور مقتدى الأزهري .

سعود ، ولكن الترجمة الأخيرة تعتمد أساساً على ترجمة الدكتور الأزهري حسب اعترافه الشخصي<sup>١</sup> .

اسم الكتاب المترجم إلى العربية هو نفس اسم الكتاب بالأردية "رحمه للعالمين" . أما أهمية الترجمة العربية فهي تمثل في إثرائها للمكتبة العربية الإسلامية بكتاب فريد في مجال السيرة النبوية وله من المميزات والخصائص ما ذكرناه أعلاه . وبهذه الترجمة لم تعد الاستفادة من الكتاب حصراً على من كان له إمام باللغة الأردية بل توسيع نطاقه بشكل كبير وتکاثر عدد من استقاد من الكتاب وراجعها من الكتاب والباحثين العرب كما يظهر ذلك من الاقتباسات والإحالات التي وردت لهذا الكتاب في الكتب العربية الكثيرة ذات العلاقة .

أما مؤلفاته الأخرى الشهيرة فهي كالتالي :

- سفرنامه حجاز (تاريخ رحلة إلى الحرمين)
- تاريخ رحلة إلى الحرمين
- الجمال والكمال (تفسير سورة يوسف)
- أصحاب بدر
- تأييد الإسلام (في رد القاديانية)
- غاية المرام (أيضاً في رد القاديانية)
- مهر النبوة (كتاب في السيرة النبوية للأطفال)
- ابن الله في الإنجيل (يتعلق بالنصرانية)
- تبيان الإسلام
- مقارنة بين القرآن والتوراة والإنجيل

وتوفي رحمه الله في يوم الجمعة المصادف ٢٠ مايو عام ١٩٣٠ على متن الباخرة في أثناء عودته من سفر الحج قرب يلملم داخل حدود الحرم ، وأم صلاة جنازته سيد محمد إسماعيل الغزنوی ، ثم تم تسلیم جثمانه للبحر<sup>٢</sup> .

<sup>١</sup> انظر : رحمة للعالمين ، تأليف : محمد سليمان سلمان المنصور فوري ، القاضي ، ترجمة : إبراهيم ، سمیر ، عبد الحميد ، الناشر : دار السلام للنشر والتوزيع ، الرياض ، السعودية ، ط / ١ ، ١٩٩٥ م ، مقدمة المترجم ، ص : ٨ - ٧ .  
<sup>٢</sup> انظر : بهتي ، محمد اسحاق ، بر صحیر کے الی حدیث خدام قرآن ، مکتبہ قدوسیہ ، لاہور ، پاکستان ، ص : ٥٨٢ .

رجال من التاريخ

## الشيخ عبد العزيز البشري جاحظ العصر الحديث الذي نسيه الأدباء

بقلم : الكاتب الإسلامي الشهير الدكتور / غريب جمعة ، القاهرة

تقدّم في الحلقة السابقة أنّ الشيخ البشري عالج المقالة النقدية والمقالة الاجتماعية والمقالة الوصفية معالجة جعلته في الصدر الأول من البلفأ وقرنته بالجاحظ إمام البيان العربي على مر العصور ، لقد تمكّن الرجل من ملكة النقد الأدبي ثم حباه الله ملكة أخرى هي النقد الاجتماعي .. فكان ناقداً اجتماعياً من الطراز الأول حيث نقد سليميات المجتمع المصري ، وشهر قلمه للدفاع عن حقوق الفلاح وعن الطفولة المشردة ، وندد بالاحتلال البريطاني وصنائعه في قمة طفيانهم وذروة جبروتهم ، وتحدث عن معركة العمامة والطربوش ، وكان له رأي فيها على الرغم من أنه ظل يضع العمامة على رأسه حتى انتقل إلى جوار ربه تعالى كما أبدع أيما إبداع حين تحدث في كتابه "في المرأة" عن زعماء السياسة وأعلام الاقتصاد والقانون ، والإدارة والبيان والفن ، كما تحدث في مؤلفات أخرى عن شتى طوائف الشعب من المقرئين والملحنين ورجال الصحافة ثم من المتطفين والسوقه والشحاذين ومساحي الأحذية والنادبين في الماتم ، والصائعين في الأفراح - وهو في كل ذلك يكشف عن المخبوء ويرسم هجسات النفوس ، ويصور منازع اللوم والاحتياط ودعائي الملقب وأسباب التغطرس الكاذب والاستعلاء البغيض .

وإذا كان في هذا القول إجمالاً فإليك بعض التفاصيل في صورة أمثلة لما كتبه الشيخ (بتصرف) حيث لا يمكن أن نكتب المقال بالكامل .

### ١. نقده لأحد رؤساء الوزارات في مصر :

هذا الرئيس هو أحمد زبور باشا الذي كان كقطعة الشطرنج في يد المحتلين الإنجليز يحركونه متى وكيف شاؤوا ، وقد توّلى رئاسة الوزارة المصرية في أوائل القرن العشرين الميلادي .  
والعجب أن هذا النقد كان أثناء تولّي أحمد زبور لرئاسة الوزارة .

يقول الشيخ ناقداً :

"أما شكله الخارجي وأوضاعه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه الأفقية ، فذلك كله يحتاج في وصفه وضبط مساحاته إلى فن دقيق وهندسة بارعة . والواقع أن " زبور باشا " رجل - إذا صر هذا التعبير - يمتاز عن سائر الناس في كل شيء ، ولست أعني بامتيازه في شكله المهوِّل طوله ولا عرضه ولا بعد مداه ، فإن في الناس من هو أبدن منه وأبعد طولاً وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلًا واحدًا ، أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه ، أدركت لأول وهلة أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدري كيف اتصلت ولا تعلق بعضها ببعض ، وإنك لترى بينها الثابت وبينها المخلج ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره وفيها المتibus المتحجر وفيها المسترخي المترهل . وعلى كل حال فقد خرجت هضبة عالية مالت من شعافها إلى الإمام شفاعة طويلة أطل من فوقها على الوادي رأس فيه عينان زائفتان طلة من يرتقب السقوط إلى قراره ذلك الهوى السعيف " .

( الشفاعة من كل شيء : أعلاه . يقال : شَعْفَةُ الْجَبَلِ وَشَعْفَةُ الرَّأْسِ وَالْجَمْعُ : شَعْفَ وَشَعَافَ وَشَعُوفُ ) - المعجم الوسيط .

ثم ينتقل إلى وصف أخلاقه وطبعاه وعاداته وأسلوبه في الحكم بهذا الأسلوب الرائع بعد وصف شكله الخارجي ، وقد ورد في وصفه هذا : " وإن أهل مصر ليأخذون زبور باشا كله بما لا يُحصى من الجرائم على القضية الوطنية ، وإنهم ليعدون عليه سفهه في أموال الدولة واستهتاره بمصالحها ، وإنهم ليحسبون عليه إيهاره الأهل والأقربي والأصحاب والمحبين وذوي أرحامهم بمناصب الدولة ومنافعها ، وقد يكون مجلس النواب مع هؤلاء الرجل ( لأنه مكون من عدة أجزاء كما عرفت ) شأن إذا أقبل يوم الحساب " ، ويستمر حتى يقول : " وبعد فإذا كان هناك وصف جامع وحلة مشتركة لهذه الخلائق التي تجمعت لجسم زبور باشا حتى انتظمت فيه شعباً واحداً فذلك أنه قسيس جزوئي في جلباب رئيس وزارة مصرى فقد تربى زبور في مدارس الجزوئيات الأجنبية كما قلت لك وتخرج عليهم وتخلق بأخلاقهم فإذا رأيت في طبعه سهولة وفي نفسه بساطة ذلك وبعد غوره حتى ليخفى عليك ما في نفسه من مكر ودهاء " .

٢- حديثه عن حافظ ابراهيم اعز اصدقائه واخلص ظصائه :

" جَهَنْ الصَّوْتُ ، جَهَنْ الْخَلْقُ ، جَهَنْ الْجَسْمُ ، كَائِنًا فَدًّا مِنْ

صخرة في فلالة موحشة ، ثم فكر في آخر ساعة في أن يكون إنساناً فكأن (والسلام) . أما ما يدعى فمه فكأنما شق لبدء الخلق شقا ، وأما عيناه فكأنما دُقَّتا بمسمارين دقا ، وأما لون بشرته والعياذ بالله فكأنما عُهد به إلى نقاش مبتدئ ، تشابهت عليه الأصباغ والألوان ، فداد (خلط) أصفرها في أحضرها في أبيضها في بنفسجها فخرج من هذا كله لا يرتبط من واحد بسبب ولا يتصل بنسب ، وإنك لو نصوت عنه ثيابه وألبسته دراءة دونها سراويل وأفرغت عليه من فوقها سُعْة ضافية ، وتوجهه بعمامة عظيمة متخالفة الطيات لخلته من فورك دهقة من دهاقين الفرس الأقدمين فإذا جردهه كله وأطلقته في البر حسبته ~~فهوة~~ أو أرسلته في البحر ظننته درفلا ! ولكن ! .. اكتشف بعد هذا عن نفسه التي يحتويها كل ذلك فلا والله ما النور بعد الظلام ولا العافية بعد السقام ولا الغنى بعد البؤس ، ولا إدراك المنى بعد طول اليأس بأشهى إليك ولا أدخل للسرور عليك من هذا حافظ إبراهيم !

**خفيف الظل ، عذب الروح ، حلو الحديث حاضر البديهة رائع النكتة بديع المحاضرة . ويستمر حتى يقول :**

ولا ننسى لحافظ يداً جليلة على اللغة العربية بما نظم وما نشر من إنشاء وترجمة ، فلقد طلما استخرج من مجفوها صيفاً طريفة بليفة أدت كثيراً من الأسباب الدائرة بين الناس مما تتحرك معانيه في الأنفس ويعني أداوه على الأقلام " .

تصویر رائع ينفرد به البشري في مزاياه ، ولقد حلول كبار الكتاب أن يحلقوا معه في أفقه في رسم الشخصيات ظهرها وتصویر الخلจات باطنها ، فأخفقوا لأن روح البشري عصية على التقليد وإن كان بعضهم من المبدعين الذي له مدرسته من المحتذين والمقلدين .. ولكن بقي البشري أستاذًا بلا تلميذ !!

### ٣. البشري في ساعة العزن :

ليس من العجب أن يرمي القدر صاحب هذه الفكاهة الضاحكة بما يشكو منه من مرض متقطع ، وبما يحزنه من فقد البنين فتلمس الآلة الحبيسة في ثابيا ما تسمع من ضحكات .

لقد شاهد الكاتب لحظات احتضار ابنه " حسن " في ليلة مظلمة ، فجاءت كلماته التي سطرها القلم دموعاً تقفيض بها العين من

بنابيع حسرته ، فاستطاع أن ينقل مصيبيه من صدره إلى صدور قرائه حيث يصف لوعته الحارة فيقول في الجزء الأول : لقد استحال كل جارحة في نفساً تعاني من سكرات الموت ما لا يعلم مدى أوجاعه وألامه وبرحه إلا الله . فهذه ثرم بملازم الحديد زماً ، وهذه تضفعمها أنياب النمور ضفماً ، وهذه توخر بالإبر وخزاً ، وهذه تحرّ بالمدى ( جمع مدبة : سكين ) حزاً ، وهذه تقرّها المخالب فرياً ، وهذه تشويهاً النار شيئاً . وكيف لي بعذاب نزع واحد ، ولم تصبح لي كسائر الناس نفس واحدة ، وإنما هي نفس واحدة تساقط أنفساً !! .

لا شك يابني إنك مضيت إلى الجنة ، فإذا أحببت أن تعرف مبلغ عذاب أهل النار ، فأشده ما أنا فيه ، وأحرّ قلباً .

إننا نعيش في هذه الدنيا عيش الآمن في سريره ، بل عيش الذي عاهد القدر على أن يسلم على الزمان فلا تكسرنه الكوارث أبداً . وإننا لنشعر في أنفسنا المزاح فنبعث ونضحك ، ولقد يضحكنا خلق من الناس وما ندري ماذا يضمّر القدر بعد ساعة واحدة ، بل بعد دقيقة واحدة ، هلقد يكون فيما يضمّر القدر ما يقدّم المتن قدّاً وما يهدّ النفس هداً وكذلك ما كان شأنى فيك يابني ! .

#### ٤. وصفه لأحد أعلام قراء القرآن في عصره :

انتشرت أشرطة الكاسيت بصورة أصبح يذاع فيها الجيد والذي يحتاج إلى مراجعة حيث يخرج بعض القراء على قواعد التجويد التي وضعها علماؤه المختصون تجاوينا مع نغمة أصواتهم حتى ينالوا إعجاب المستمعين وتعبيرهم عن ذلك بصياح وصراخ لا يليق بمجلس القرآن لأنهم يجهلون أحکام التجويد وإنما يطربون للتقديم والوقف والإبتداء والإعادة ورفع الصوت وخفضه والتمطيط إلى غير ذلك مما يفعله أمثال هؤلاء القراء - عفا الله عنهم - .

والحق أن الأمر يحتاج إلى رقابة فنية حازمة تمنع هذا الانحراف . وإذا جاز ذلك في الأغاني العاطفية ، فإن آيات الذكر الحكيم فوق هذا الانحراف الذي يتناهى مع جلال القرآن ويدل على فراغ القلب من الخشوع الواجب عند تلاوته . وهذا ما أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فيما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا

سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله " . (رواه ابن ماجه في سننه . كتاب إمامية الصلاة ٤٢٥ / رقم ١٣٢٩) .

لذلك لم يكن عجبًا أن يهتم الشيخ البشري ببعض أئمة القراء في عصره إشادة بفضلهم وتنويعها بشأنهم وعلو كعبهم في ذلك حتى صاروا أحاديث المجالس خاصة مجالس القرآن .

والبشرى أزهري بالطبع يفهم تعدد القراءات ومعنى الوقف والابداء وأحكام التجويد ودقائق النحو والصرف ، لذلك فهو يبني حكمه الفني على القارئ لا على الصوت وحده بل على حظ القارئ من الالتزام بأحكام التجويد وفهم معنى ما يقرأ وما يظهر عليه من إمارات الخشوع والتأثر عند القراءة .

وها هو هذا يكتب فصلاً رائعاً عن واحد من أئمة القراء في عصره هو الشيخ أحمد ندا الذي كان ذائع الصيت في الربع الأول من القرن العشرين ، حيث لم تنتشر أسطوانات ولا شرائط التسجيل الصوتي لحفظ رواية أداءه الفني لآيات القرآن ، ولكن الشيخ البشري حفظه له مقامه الكبير حين كتب خواطره عنه ، فكان كأنما صوره تصويراً وهو في مجلسه القرآني بعمامته وجبيته ، وأسمع الناس صداته الرنان سعياً يخلده على مر الزمان - حيث يقول واصفاً قراءاته في النوبة الثانية بعد أن فرغ من قراءته في النوبة الأولى :

" فإذا جاءت نوبته الثانية واستوى في مجلس الترتيل رأيت فيه فتاء وقوة لا عهد لك بهما من قبل ، وخرج صوته مُرِنًا واضحاً ليس عليه من الصدا إلا القليل ويقرأ على أنه لا يأخذ في قراءته سمتاً واحداً بل ما يريح يتراجع في فنون النغم ، ولكن تجده هذه المرة ليس في التماس النغمة التي تعينه وتعصمه بل في التماس تلك التي تضنه وتبعه ، إذ صوته في أثناء ذلك يقوى ويشتد ويعلو ويصفو حتى يصير أوضح من الفريد (السيف وما يلمح في صفحاته من تموج الضوء ) وينطلق في طلب الصيد من هنا ومن هنا ولا يریغ (يطلب) من النغم إلا الأوابد .

إذا أصاب قنيصته راح يلون لها الافتراض ألواناً ويشكّل لها الاتهام أشكالاً ، وهو في أثناء ذلك يقيم الناس ويقعدهم ويطوّهم وينشرهم ويديقهم المهوول الرائع من الطرب والانبهار وما شاء الله لا قوة إلا بالله " .

أحداث ٢٠١٩

## دراسة للواقع المعاش ، وتفاؤل بالمستقبل المشرق

محمد فرمان الندوى

نحن الآن على مشارف السنة الميلادية ، وهي شهر ديسمبر ، شهر عُرف بحفظ حقوق الإنسان ، وصيانته للأموال والأعراض ، وشهر اللغة العربية على الصعيد العالمي ، فقد يحتفل في اليوم الثامن عشر من هذا الشهر باللغة العربية ، تخليداً لتأثيرها وانعكاساتها المحمودة على العالم أجمع ، وقد سجلت اللغة العربية في قديم الزمان أحوال العرب فكانت ديوان العرب ، وحازت الآن مكانة مرموقة بين لغات العالم ، فصارت خزينة العلوم والثقافات ، فلم تكن الآن لغة العرب فحسب ، بل هي لغة العالم كله ، وهي تترجم عن هموم وأحداث الأمم والشعوب أكثر بكثير من أي لغة أخرى ، لأنها أقدم اللغات وأوسعها وأجملها للأصداد ، يقول شاعر النيل حافظ بك إبراهيم عن لسان اللغة العربية :

وسمت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضيق عن أي به وعظات  
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسق أسماء مخترعات  
رؤيتان نحو معالجة الأحداث :

نظرة عامة على الأحداث تبين أن هناك رؤيتين نحو معالجة الأحداث : أولاً : الموقف الساذج البسيط ، فقد يمر الرجل العادي بهذه الفواجع مروراً عابراً ، ويعتبرها سنة عادية ، تجري وتستمر مع مرور الزمان ، لكن الموقف الثاني يضطر العاقل البصير إلى تناول الأمور بعللها وأسبابها واستخراج نتائج وعبر تكون معالم للحياة الإنسانية . لأنه يعرف معرفة تامة قوله قائل : "أمران لا يحدّد لهما وقت بدقة : النوم في حياة الفرد ، والانحطاط في حياة الأمة ، فلا يشعر بهما إلا إذا غلبوا واستوليا ". (ماذا خسر العالم ..... : ١٤٣) .

### سرد أحداث السنة الجارية :

هناك أنواع وألوان للأحداث : منها ما ينتمي إلى رحلة الشخصيات العصرية ، وما يتعلق بنشووب حروب وصراعات بين الدول ، ومنها ما يتصل بظهور فوائح وحوادث رهيبة ، وما يرتبط من سيول وفيضانات ومفاجئات في بعض المناطق :

(١) فقدنا في العام الجاري كثيراً من أعلام الأمة الإسلامية ورموز الدعوة الدينية أمثال قيد الصحافة العربية الشيخ السيد محمد واضح

رشيد الحسني الندوى والرئيس المصري المنتخب الدكتور الحافظ محمد مرسي والداعية مصطفى محمد الطحان وغيرهم ، فكانت رحلة هؤلاء الأعلام مبعث خسارة ونقدان عظيم في باب العلم والعلماء وقيادة الأمم والشعوب ، لكن آثارهم تقول لنا بلسان الحال : " هذه آثارنا تدلنا علينا ، فانظر بعدها إلى الآثار " ، ومن شعار الأمم الفياري أنها كلما فقدت شخصية أو علماً أحلت أخرى محلها ، فهي " قوله لما قال الكرام فعل " .

(٢) تجري حروب ومعارك دامية في البلدان الإسلامية ، ففي اليمن الميمونة منذ سنوات تشتعل نيران الحرب ، ولا تزال تتفند قوات التحالف استراتيجيةيتها بحكمة وفطانة بالغتين ، وقد وقع هجوم مكثف من الحوثيين على منشآت أرامكو ، وهي غارة بشعة على ممتلكات الملكة السعودية العربية ، وتستمر سلسلة هذه الحروب منذ سنة ٢٠١١ م حينما اندلعت ثورة شعبية في اليمن ، فأورثت خلال ذلك خسائر باهظة ، وفي السودان ثارت احتجاجات شعبية اضطر فيها حاكم السودان حسن عمر البشير إلى التنازل عن الحكومة ، وقامت حكومة متالية ، وهي متواصلة في أمرها ، وتجري الآن في العراق مظاهرات ضد الحكومة ، وقامت عدة لقاءات بين أمريكا وحكومةطالبان ، لكنها فشلت أخيراً ، ولم يتوصل الطرفان إلى حل إيجابي في هذه القضية ، وقضية المسلمين الأيغور في الصين ، وجرت صفقة القرن لأرض فلسطين في مملكة البحرين تحت رئاسة ممثل أمريكا وصهر دونالد ترامب ، وقد فشل بنiamن نتنياهو في الانتخابات العامة لإسرائيل ، وأخيراً ظهرت قضية تركيا مع الأكراد على الحدود الشمالية ، وقضية مادة : ٣٧٠ ومادة ٢٥ (A) لأهل كشمير في الدستور الهندي التي كان لها صدى عميق على المستوى العالمي .

(٣) أصيبت الأمة الإسلامية بحادثة نيوزي لندن ، وهي حادثة مرؤعة للغاية ، بحيث قام أحد المسلمين ، وأطلق الرصاص على المسلمين في المسجد ، وهو جالسون لأداء صلاة الجمعة ، فذهب ضحيتها أكثر من خمسين مصلياً ، وانفجارات سري لانكا المتزامنة هلك فيها خمس مائة من الرجال والنساء وجرح عدد كبير منهم ، وقد اتضح أنها مدبرة ومحظطة .

(٤) جرت في شهر مارس فيضانات هائلة جراء الأمطار الغزيرة ، اجتاحت عدة محافظات إيرانية بحياة حوالي ٤٤ شخصاً ، وفي ١٥ أبريل اندلع حريق هائل في باريس أدى إلى انهيار سقفها وبرجها ، وفي ٥ مايو أصيبت طائرة روسية ( رحلة ١٤٩٢ ) ، بهبوط اضطرارياً في مطار

شري ميتييفو الدولي ، مما أدى إلى مقتل ٤١ راكباً من بين ٧٨ وغيرها .  
أدهى من ذلك وأمر :

يقدّر أن هذه الأوضاع هي أشد خطورة وأكثر تآزماً في مصير الإنسانية بل الأمة الإسلامية ، لكن التاريخ يشهد أن هناك كوارث ، أعظمها وأفدها وأخطرها : "وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتداد عامة العرب ، وانحصار الإسلام في مدينة صغيرة ، يموج حول المسلمين بحر الكفر والعداء ، وهم " كالفنم في الليلة المطيرة الشاتية " لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم . وثانيها : تدفق الجيوش الصليبية والحكومات الأوروبية بأسرها وخليها ورجلها على جزء صغير من المملكة الإسلامية . وثالثها : زحف التتار الوحش على العالم الإسلامي ، وتحطيمهم له من أقصاه إلى أقصاه ، وكان العالم الإسلامي مقبرة واسعة يهيمن عليها الموت ويسود عليها الصمت الرهيب ، وقد قطع المقاولون الأقواء الرجاء في نهضتهم ، لكن الأمة الإسلامية خرجت من تحت الركام ، ومن تحت الانقضاض حية جديدة ، قوية نشيطة ، ونفضت عنها غبار الموت وتراب القبر . وذلك بقيادات مؤمنة حكيمة " .

(كارثة العالم العربي وأسبابها الحقيقة : ٢٥ - ٢٨) .

#### رب ضارة نافعة :

قبل سنوات رسم أحد الصحفيين في دنمارك رسوماً كاريكاتيرية للنبي المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فثارت احتجاجات شديدة من نوعها ضد هذه الرسوم من أقصى العالم إلى أقصاه ، وقامت الدنيا وقعدت نحو هذا الحادث المؤلم ، حتى اعتذر هذا الصحافي عن جريمته الشنعاء ، وبعد قليل قدر الله أن يموت شرميطة ، أما الجانب الآخر لهذه المظاهرات فإن عدداً كبيراً من الناس في القرارات المختلفة قضاوا العجب العجاب منها ، وبدأوا يقبلون على دراسة سيرة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى نفت نسخ وطبعات لسيرة النبوة ، وألقت مؤلفات وكتبات كثيرة وكثيرة ، حتى تكونت مكتبة كبيرة لسيرة النبوة في أقرب فرصة . فالأوضاع الحالية والأحداث المعاصرة وإن كانت شديدة في مرارتها وعنهما ، لكن الجانب الإيجابي فيها أعظم وأهم ، كان الله سبحانه وتعالى يريد بنا خيراً كثيراً ، فيجعلنا نمر بأمثالها ، وتحتاز عقباتها ، ونعياني لذعنها وحرارتها ، فكما أن الليل الفاسق يبشر بطلع صبح جديد ، واليأس الشديد يأتي بنتائج سارة ، فكذلك نرجو من الله تعالى أن الأوضاع تتبدل ، وأن الغيوم تكشف ، والظلمات تتفسع ، قال الله تعالى : (ولَا يَحِيقُ الْمَكْرُ أَسْسِيَء إِلَّا بِأَهْلِهِ ، فَهُلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَيْئَةَ الْأُولَئِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِلَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسْتَةَ الَّهِ تَحْوِيلًا ) (فاطر : ٤٣) .

أخبار علمية وثقافية

(١) الدكتور محمد يونس النجراحي الندوبي :  
شخصية أثرت في الخاصة وال العامة بأعمالها الجليلة

جمعية المثقفين المسلمين تعقد مؤتمرا علميا حول : حياته وأعماله في مدينة لكناؤ (الهند)

محمد فرمان الندوبي

عقدت جمعية المثقفين المسلمين لعموم الهند في قاعة الشيخ أبي الحسن علي الندوبي بكلية "ممترار" في مدينة لكناؤ (الهند) ، في ١٢ / ٢٠١٩ م، مؤتمرا علميا حول شخصية الدكتور محمد يونس النجراحي الندوبي وأعماله ، رأسه سعادة أستاذنا الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوبي (مدير دار العلوم لندوة العلماء ورئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي) ، قال سعادة الشيخ في خطبته الرئاسية : وقف الدكتور محمد يونس النجراحي الندوبي حياته للأعمال المليلة والدينية ، وإنهاض المسلمين إلى المكانة العالية ، وكان ينتمي إلى أسرة دينية نبغ فيها علماء كبار ، خاصة والده العظيم الشيخ محمد أويس النجراحي الندوبي (صاحب التفسير القيم) ، وكان الشيخ محمد يونس يعتبر ترجمان الهند في العالم الإسلامي ، فقد اختارت له رابطة العالم الإسلامي مستشارا خاصا لشيه القراءة الهندية ، بذل جهوداً كثيرة في إبلاغ رسالة الإنسانية وإصلاح المجتمع ، ويكون ذكره خالداً بإذن الله في التاريخ ، وأضاف الشيخ قائلاً : كان الدكتور محمد يونس يحب الإمام الندوبي حباً كثيراً ، فكان الإمام الندوبي يتناوله بالعاطف الأبوي والرعاية الخاصة ، ويشجعه على أعماله العلمية . وقال ضيف الشرف الدكتور عزيز القرishi (حاكم ولاية أترا برديش سابقاً) : كان الدكتور النجراحي يحمل في قلبه عواطف نبيلة نحو خدمة العباد والبلاد ، وكل ما قام به من مجهودات علمية ودينية يمثل شخصيته ، فهو حي بأعماله وخدماته اليوم .

وقد حضر المؤتمر الشيخ محمد شاهد السهارنفور (الأمين العام لجامعة سهارنفور) والشيخ كاكا أنيس العمري (من جامعة دار السلام عمر آباد) ، والبروفيسور السيد وسيم آخر (رئيس جامعة انتفلر ، لكناؤ) وكثير من علماء ومثقفي البلاد ، أدار الجلسة الافتتاحية الأستاذ ذكي نور عظيم الندوبي ، كما ألقى كلمة الترحيب والاستقبال الأخ أحمد أويس النجراحي نيابة عن والده الدكتور عمار أنيس النجراحي (الأمين العام لجمعية المثقفين المسلمين) .

عقدت الجلسة الثانية لتقديم المقالات تحت رئاسة الدكتور مشير

حسين الصديقي (رئيس القسم العربي بجامعة لكاناؤ) ، وقدمت فيها عشرون مقالة علمية من قبل الدكتورة وأساتذة الجامعات العصرية في مدينة لكاناؤ ، أدار الجلسة الأستاذ الدكتور محمد إدريس الندوى (أستاذ القسم العربي بجامعة لكاناؤ) ، واليكم بعض أسماء المشاركين في هذه الجلسة : الدكتور مسعود عالم ، والدكتور قمر إقبال ، والدكتور سعيد بن مخاشن ، والدكتور رياض أحمد الرياضي ، والدكتور سلمان خان الندوى ، والدكتور ثانية فحص ، والدكتور عبيد الرحمن الندوى ، والأستاذ محمد جاويه أخته الندوى ، والدكتور سبحان عالم الندوى .

## (٢) مؤتمر حول رسالة الإنسانية في إدارة فيض القرآن بولاية بنغال الغربية

عقد مؤتمر حول رسالة الإنسانية في إدارة فيض القرآن محمود شوك ، تكري باري بمديرية ديناجبور الشمالية بولاية بنغال الغربية في ٢٠١٩ / ١٨ / ٤٤١ سنة هـ ، الموافق ١٨ / أكتوبر عام ٢٠١٩ ، حضره وفد وجيه من العلماء يتكون من الأستاذ الفتى ظفر عالم الندوى والأستاذ عبد الباسط الندوى والأستاذ محمد أمجد الندوى نيابة عن مدير دار العلوم لندوة العلماء سعادة أستاذنا الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوى (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي) ، فكان من المتوقع أن يحضره ، لكن ما تمكّن من ذلك لأنسباب قاصرة . عقدت بهذه المناسبة في هذه المدرسة برامج ثقافية للطلاب مثل إلقاء الخطاب باللغات المختلفة ، وافتتاح النادي العربي الأدبي ، كما عقد مؤتمر حول رسالة الإنسانية في رحاب المدرسة ، حضره أعيان الولاية ووجهاؤها ، واستمعوا إلى الكلمات التي ألقيت حول الموضوع ، وقد وجه إلى المؤتمر أستاذنا الدكتور سعيد الأعظمي رسالة ، قال فيها : الإنسان أشرف مخلوق في هذه الكائنات ، وضع الله في داخله قلباً واعياً ، يشعر بالألم والحزن ، وأودع فيه عواطف نبيلة ، فلا يكون صامتاً إذا كان أخوه في اللون والجنس والدم مظلوماً ، بل يطلق له ، ويقدم له مساعدته ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : والله في عون العبد مadam العبد في عون أخيه . إن هذا الزمن الذي نعيش فيه ساد فيه جو الطائفية والانتهازية ، وقد عم ذلك في كل شعبة من شعب الحياة ، فالقوى يظلمون الضعيف ، والحوت الكبير يزدري الحوت الصغير ، فالناس يتضايقون من العيش في هذه البيئة الفاسدة ، فالحاجة أكيدة إلى أن تنشر رسالة الإنسانية على مختلف المستويات ، لأن الأرض إذا لم تكون صالحة لا تثبت عشاً ولا كلاماً ، وقد أنشأ إمامنا الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوى حركة رسالة الإنسانية قبل مدة ، ( وهي رسالة الله إلى الناس كافة ، ومسؤولية الأنبياء والمرسلين ) ، ولم يزل

يقود هذه المسيرة طول حياته ، ويخلفه الآن العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي (رئيس ندوة العلماء) .

**شكر الحضور الأستاذ محمد ممتاز عالم المظاهري مدير المدرسة** ، وقد أنشئت هذه المدرسة عام ١٤١٩هـ ، الموافق ١٩٩٨م ، بإشراف من العالم الرياناني الشيخ أبرار الحق الحقي رحمة الله ، ومستوى التعليم فيها إلى مرحلتي العالمية والفضيلة ، يدرس فيها عدد كبير من طلاب ولايات بنغال وأسام وبهار وجارخند ، تتكلف المدرسة بإعاشتهم وتوفير حوائج لازمة لهم عن طريق التعاون العام . وانتهى المؤتمر بالدعاء .

### (٣) افتتاح كتاب : حركة تحرير الهند وجامعة مظاهر علوم سهارنفور

#### للشيخ الجليل السيد محمد شاعد السهارنفورى حفظه الله ورعاه

تم افتتاح كتاب : حركة تحرير الهند وجامعة مظاهر علوم في أربعة مجلدات ، الذي قام بتأليفه فضيلة الشيخ السيد محمد شاهد السهارنفورى (الأمين العام لجامعة مظاهر علوم سهارنفور ) ، أتراكا برديش (الهند) برئاسة العالم الرياناني الشيخ السيد محمد أرشد المدنى رئيس جمعية علماء الهند ، وذلك في ٢٧ أكتوبر عام ٢٠١٩م ، في قاعة مبنى الشيخ محمد زكريا رحمة الله تعالى ، قال الشيخ محمد أرشد المدنى في خطبته الرئاسية : إن علماءنا في الهند لم يكتفوا بالدراسة والتعليم في رحاب المدارس والجامعات فقط ، بل قادوا الأمم والشعوب خارج المدارس ، إنه نقل بهذه المناسبة قول الشيخ محمود حسن المعروف بشيخ الهند : الذين ينحصرون في زوايا المدارس ويشتغلون بالتعليم فيها يلتصقون بالدين الإسلامي تهمة ، وقال الشيخ : الحاجة ماسة إلى أن يضم موضوع القيادة إلى مناهج مدارسنا التعليمية . وقال الشيخ محمد شاهد السهارنفورى مؤلف الكتاب : إن جهود علماء الهند في تحرير البلاد من براثن الإنجليز مشكورة ومبرأكة ، فقد ساهمت فيها المدارس والجامعات والمنظمات الدينية مساهمة بارزة ، وقد كان لجامعة مظاهر علوم سهارنفور وخيريتها وأعلامها دور كبير في هذا المجال ، لكن هذا الباب ظل مختفيا عن أعين الناس ، فوقفتني الله تعالى إلى إبراز هذه الناحية في أربعة مجلدات ، أدعو الله تعالى أن يتقبلها قبولًا حسنًا . بدء البرنامج بتلاوة المقرئ السيد محمد عمار الهاشمي ، وأداره الأستاذ المفتى محمد جاويذ السهارنفورى .

وكان العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوبي (رئيس ندوة العلماء) ضيف الشرف لهذا البرنامج ، لكنه لم يتمكن من الحضور في هذا البرنامج ، فبعث الأستاذ السيد محمد حسن الحسني الندوبي (مدير التحرير لصحيفة "تعمير حياة" الأردية ، الصادرة من ندوة العلماء) برسالته إلى سهارنفور ، التي قررت أمام الحضور ، قال الشيخ

في رسالته : جامعة مظاهر علوم من المدارس التي قامت بالتعليم والدعوة في مجال الفكر والدين ، وكان أبناؤها وخرجوها نماذج حية للحياة الإيمانية ، فقد ساهموا في إصلاح المجتمع والنهي عن المذكر ، وإخراج الإنجлиз من البلاد ، وكانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، اشتبثوا طول حياتهم بتقوية أواصر الحب ، والاعتماد على الله ، والبحث والإرشاد ، وإصلاح ظاهريهم وباطئهم ، وقال الشيخ أيضا : إن هذا العمل التحقيقي يعتبر موسوعة علمية ، قام الشيخ السيد محمد شاهد السهارنفورى بإعداده في أربعة مجلدات ، نبارك هذا العمل وندعوه له بالتوفيق والسداد .

كما أن استاذنا الجليل الدكتور سعيد الأعظمي الندوى ( مدير دار العلوم لندوة العلماء ) بعث رسالة تهنئة إلى الشيخ السيد محمد شاهد السهارنفورى ، قرأها في البرنامج فضيلة الشيخ الفتى محفوظ الرحمن العثماني ( رئيس جامعة القاسم دار العلوم الإسلامية سفول ، بهار ) ، وكان من أهم الأعضاء البارزين لهذا البرنامج العلمي الكبير ، قال الشيخ في كلمته : إن جامعة مظاهر علوم أنشأها الشيخ سعادت على الفقيه السهارنفورى في نفس العام الذي أنشئت فيها دار العلوم ديوبند بالهند ، وكان الشيخ سعادت فقيه من أبرز أتباع الإمام أحمد بن عرفة الشهيد ، فشارك معه في الهجرة والجهاد ، وقد حظيت جامعة مظاهر علوم بإشراف العلامة الشيخ رشيد أحمد الفنفوسي ، وإن خدمات الشيخ محمد مظهر النانوتوي والشيخ خليل أحمد السهارنفورى والمحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوى من أساتذة جامعة مظاهر علوم سهارنفورى ، سجلت بمداد من نور . وقال الشيخ أيضا : ظلت صلة الشيخ السيد محمد علي المنغيري والشيخ شibli النعماني بجامعة مظاهر علوم قوية ، فقد أخذ كلًا منها في علم الحديث ، وكان الشيخ خليل الرحمن السهارنفورى رئيس ندوة العلماء سابقًا من أبناء الشيخ المحدث أحمد علي السهارنفورى . إن استيعاب هذه الجوانب العلمية في أسفار ليس سهلاً ميسوراً ، لكن الشيخ السيد محمد شاهد السهارنفورى استوعبها بجودة وإتقان في أربعة مجلدات ، وهي مأثرة علمية قيمة ، ودعا لافتتاحها كبار الشخصيات من طول البلاد ، وكانت أيضًا من المدعوين إليها ، لكن حالت أمور دار العلوم دون ذلك ، فهذه الكلمات تكون بمثابة حضور فيها . ندعوا الله تعالى أن يتقبلها لابتعاء وجهه الكريم .

ومن أبرز المشاركين في البرنامج الشيخ الفتى أبو القاسم النعماني رئيس دار العلوم ديوبند ، والشيخ محمد عثمان المنصورفوري ، والبروفيسور أختير الواسع والشيخ رفيق أحمد القاسمي ، والشيخ محمد سفيان القاسمي ( رئيس دار العلوم وقف ) وغيرهم . وانتهى البرنامج بدعاء الرئيس حفظه الله ورعاه .

إلى رحمة الله تعالى

(١) الشيخ د . محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

أعلن فجر ٢٩ / أكتوبر ٢٠١٩ الموافق ١ / ربیع الأول ١٤٤١هـ عن وفاة الشيخ د . محمد المختار بن محمد الأمين الشنقيطي نجل العلامة ، صاحب تفسير "أضواء البيان" ، وذلك في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . عن عمر يناهز ٧٧ عاماً ، وقد صليت عليه صلاة الجنازة بعد صلاة العصر في المسجد النبوى ، ودفن بعد ذلك في البقيع . فإنما لله وإنما إليه راجعون .

كان الشيخ محمد المختار عالماً وفقيراً ، أصولياً ومفسراً ولغويًّا ، موريتاني الأصل ، كما كان أحد هيئة كبار العلماء السعودية ، ومدرساً بالحرمين الشريفين . ولد في بلاد شنقيط بموريتانيا عام ١٣٦١هـ ، ونشأ في بيت علم حيث كان والده عالماً .

درس دراسته النظامية في المدينة المنورة ، وأكمل الدراسة المتوسطة والثانوية في معاهد الجامعة الإسلامية التابعة لها ، ثم أكمل دراسته الجامعية في الجامعة الإسلامية ، في كلية الشريعة ، وتخرج فيها عام ١٤٠٣هـ ، ثم عين بها معيدياً . وحضر رسالته الماجستير فيها ، بعنوان "القبح في البينة في القضاء" ، ثم حضر رسالته في الدكتوراه ، وكانت أطروحته بعنوان : "أحكام الجراحة الطبية والأثار المترتبة عليها" ، وأجيزت بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بالطبع ، وطبعت مراراً ، ونال جائزة المدينة المنورة للبحث العلمي . ومن أهم شيوخه والده الشيخ الشنقيطي وعبد العزيز بن باز . وأصبح عضواً بهيئة كبار العلماء السعودية ومدرساً بالحرمين الشريفين .

له مصنفات عدّة منها :

- طرفة الألفية والاحمرار ، وهو من عجائب ما ألف في علم العربية ، أكمل بهما ألفية ابن مالك ووشحها بحاشية كاشفة لمعانيها .
- أحكام الجراحة الطبية والأثار المترتبة عليها ، رسالة الدكتوراه طبعت مراراً .
- القبح في البينة في القضاء ، رسالة الماجستير لم تطبع .
- معالم تربوية لطالبي أنسى الولايات الشرعية ، اقتباسات من بعض دروس الشيخ ومحاضراته جمعها أحد طلاب العلم وعرضها على الشيخ فاستحسنها فطبعت .
- شرح لبلوغ المرام ، شرح غير مكتمل طبع بعضه .

ونحن إذ نعزي أهله ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ونبتهل كذلك إلى الله تعالى أن يكرمه بالجنة والنعيم في دار الآخرة ، ويلهم أهله وذويه الصبر الجميل والدعاء الخالص للراحل الكريم .

### (٢) فضيلة الأستاذ رياض الرحمن الشيرواني إلى رحمة الله تعالى

أفادتنا الأنباء بوفاة الأستاذ ( البروفيسور ) رياض الرحمن الشيرواني في يوم الاثنين ٦ / من شهر ربيع الأول لعام ١٤٤١هـ ، المصادف ٤ / ١١ / ٢٠١٩م ، في مدينة علي كراه ، حيث كان له وطن الإقامة ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان البروفيسور الشيرواني حفيد العلامة الشيخ حبيب الرحمن الشيرواني ( رحمه الله تعالى ) أحد المؤسسين لندوة العلماء في القرن المنصرم ، وظل عضواً بارزاً مهماً ، طوال حياته لندوة العلماء ، وقد حل محله في الأخير البروفيسور رياض الرحمن الشيرواني ، وظل عضواً للمجلس الاستشاري لندوة العلماء ، يتبع جلساته السنوية ويبدي آراءه في الشؤون التعليمية والدعوية .

كان المرحوم قد أصدر مجلة باسم الفكر الجديد ، ( فكر نو ) ، كما كان مشاركاً في الأسرة الإدارية لمجلة " معارف " الشهرية الصادرة من مؤسسة دار المصنفين بأعظم كراه ، لولاية أترابريديش التي أنشأها العلامة شibli النعmani معتمد التعليم والثقافة لندوة العلماء ، في عهدها الأول . وهي لا تزال مستمرة في أداء رسالتها .

كانت له صلة قوية بندوة العلماء وشئونها وأهدافها الغالية ، وكان سماحة العلامة الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوبي يتناوله بالتعظيم ، واللقاءات العلمية والثقافية .

تقى رحمته الله تعالى بواسع رحمته ومفترته ، ويكرمه بالجنتات والنعيم في آخرته ويلهم أهله وأصحابه وذوي أسرته الصبر الجميل ، والتوفيق للدعاء الخالص له ، والله ولن التوفيق .

### (٣) فضيلة الشيخ المفتى منظور احمد المظاهري في ذمه الله تعالى

فوجئنا بنبأ وفاة فضيلة الشيخ المفتى منظور احمد المظاهري يوم الأحد ٥ / من شهر ربيع الأول ١٤٤١هـ ، الموافق ٢٠١٩ / ١١ / ٣م ، في مدينة كانفور ، بولاية أترابريديش ( الهند ) ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان الراحل الكريم مريضاً منذ مدة ، وقد جرى علاجه أخيراً في أحد المستشفيات في مدينة كانفور ، حيث وافته المنية وغادر إلى دار الآخرة ، وكان الشيخ المرحوم من كبار علماء هذه المدينة ، قام بخدماته

العلمية والدينية إلى مدة طويلة ، وكان يهتم بمشكلات المسلمين الدينية والاجتماعية ، ويشير عليهم بالطريق الأنفع ، كما أنه كان أحد القضاة المعروفين ، وقد سُجل اسمه رسميا ، بالقاضي ، فكان يقوم بالقضاء في المشكلات القضائية من كل نوع .

صلى عليه جماعة كبيرة من علماء المسلمين ، وشارك في الصلاة عليه جماهير من المسلمين من كانوا في خارجها ، وتم دفنه في مقبرة المسلمين الشهيرة التي تعرف بمقدمة مصلى العيد ، وقد حدث بوفاته فراغ كبير ، يرجى أن يملأ الله تعالى بينه هو أهل لهذا العمل الجليل .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وأكرمه بجوائزه في جنات ونعيم ، وألهم أهله وجميع المسلمين بالصبر والدعاء . فإن الله يجزي عباده المحسنين .

#### (٤) حادث وفاة زوجة الأخ العزيز رفيع الدين الندوبي

فجاءة جاءنا نباءً وفاة زوجة الأخ العزيز رفيع الدين الندوبي أحد المدرسين في قسم الكتاتيب التابع لندوة العلماء ، وذلك ظهر ٢٥ / من شهر صفر لعام ١٤٤١ هـ الموافق ٢٥ / من شهر أكتوبر ٢٠١٩ م ، فإن الله وإننا إليه راجعون . وقد نقل جثمانها من المستشفى إلى قرية قريبة من مديرية " سنديلة " بولاية أترابرديش ، حيث صُلِّي عليها وتم تدفيفها ، وقد خفت الراحلة عدة أولاد من البنين والبنات ، تولأهم الله سبحانه وألجمهم في رحمته ويكرمهم ووالدهم بالصبر والسلوة ، ويوفق الجميع بالدعاء للراحلة الكريمة .

#### (٥) والد الاستاذ انيس احمد الندوبي إلى رحمة الله تعالى

كان الشيخ رفيع الله والد الاستاذ انيس احمد الندوبي مريضاً منذ مدة ، وقد ازداد المرض خلال هذه الأيام ، فأدخل في المستشفى للعلاج ، ولكن حان أجله ، فلم يُشفَّ من علاج الأطباء الماهرين ، وغادر إلى ربه الكريم في ٢٩ / من شهر صفر ١٤٤١ هـ الموافق ٢٩ / أكتوبر ٢٠١٩ م ، بالغاً من العمر ٨٣ عاماً ، فإن الله وإننا إليه راجعون .

ونحن إذ نعزي الاستاذ انيس احمد الندوبي ( أحد أساتذة دار العلوم لندوة العلماء ) ، ندعوه الله سبحانه وتعالى أن يتغمده بواسع رحمته ونبتهل كذلك إلى الله تعالى أن يكرمه بالجنة والنعيم في دار الآخرة ، وبلهم أهله وذويه والأستاذ انيس احمد بالصبر الجميل والدعاء الخالص للراحل الكريم .

#### (٦) والدة الدكتور مشير حسين الصديقي إلى رحمة الله تعالى

تلقينا بشيء من التأخير نباءً وفاة والدة الدكتور مشير حسين ( رئيس القسم العربي بجامعة لكاناؤ ) بولاية أترابرديش ( الهند ) ، وذلك

في ١٥ من شهر صفر المنصرم لعام ١٤٤١هـ الموافق ١٥ / ١٠ / ٢٠١٩ ، بالغة من العمر ٩٣ عاماً ، فإننا لله وإننا إليه راجعون . وقد وصلنا نبأ الحادث بتأخير وتأسفنا على ذلك ، ولم نتمكن من الاتصال بالدكتور الصديقي ، ولم نستطع أن نعزيه ، ونشاركه في هذا الحادث في وقته ، وإننا نعزي الآن الدكتور مشير حسين على هذا الحادث المؤلم ونتضرع إلى الله تبارك وتعالى أن يغفر لها زلاتها وبكرمتها بجنتان ونعيم ، ويلهم أهلها وأولادها الصبر والسلوان ، ويوفقهم للدعاء والاستغفار لها وللجميع .

#### (٧) الطالب العزيز عبد الله بن عبد الرحمن الندوبي في ذمة الله تعالى

كان الطالب عبد الله بن عبد الرحمن الندوبي متعملاً في الصيف الثالث من القسم الخاص بالطلاب القادمين من الكليات الرسمية بعد الحصول على شهادة الثانوية أو العالمية ، وكان يدرس في السنة الثالثة من هذا القسم ، وقد شارك الامتحان (امتحان نصف السنة ) ، الذي عُقد في ٢٨ / ٢ / ١٤٤١هـ ، وكان على صحة عادية دون أن يكون مريضاً ، ولكنه أصيب بمرض خفيف يوم الأربعاء ، وتوجه إلى قريته القرية من مدينة لكهنو ، ولم يقدر له الشفاء ولا البقاء ، وانتقل إلى رحمة الله تعالى في ٢ / من ربيع الأول ١٤٤١هـ ، ومع العلم بالحادث اتصلنا بجدد الطالب العزيز الشيخ محمد شريف ( أحد أعضاء جماعة التبليغ والعاملين فيها بنشاط وجد منذ مدة طويلة ) ، وقمنا بأداء سنة التعزية . ومن حسن المصادفة أنه زار صباح الجمعة ٣ / ٣ / ١٤٤١هـ سماحة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوبي رئيس ندوة العلماء ، طالباً منه الدعاء وإبداء الحزن على الحادث ، فعزاه سماحته وجلس معه جلسة تعزية بعد صلاة الجمعة ٣ / ٣ / ١٤٤١هـ ، وقد تبادلنا معه التعزية والتوجع على الحادث المفاجئ . غفر الله له وأكرمه بالجنتان والجزاء الأوفي ، وألهم الجميع الصبر على الحادث المفاجئ والدعاء للراحل العزيز وأهله وأعضاء أسرته ، فإن الله سميع عليم .

#### (٨) الأم العزيز محمد أفضل حسين إلى رحمة الله تعالى

ومما يؤسف له أن الأخ العزيز محمد أفضل حسين من ولاية جارخند الذي جاء نعيه متأخراً ، توفي بمرض كان قد أصيب به أيام دراسته في دارالعلوم قبل الامتحان ، وسافر إلى وطنه حيث توفي في ٥ / ٣ / ١٤٤١هـ ، الموافق ١١ / ٢٠١٩ م ، فإننا لله وإننا إليه راجعون .

كان الطالب يدرس في السنة الثالثة العالمية من كلية الشريعة بدارالعلوم لندوة العلماء ، وظل مقیماً في الرواق السليماني بدارالعلوم ، إذ أصيب بمرض فأدخل في مستشفى لكهناو ، ثم نقل إلى بنته عاصمة ولاية بهار ، حيث توفي فيها رحمة الله رحمة واسعة وأدخله في جنات النعيم .